مجلّة

إقبالیات

العربية

العدد الثاني ، الثالث
١٩٩٣/١٩٩٤م

○

اشراف
الأستاذ الدكتور وحيد قريشي

○

اكادمية اقبال الباكستانية
بلاهور

مجلة

إقبالیات

العربية

العدد الثاني ،الثالث

١٩٩٣/١٩٩٤م

اشراف

الأستاذ الدكتور وحيد قريشي

اكاديمية إقبال الباكستانية
بلاهور

IQBAL ACADEMY PAKISTAN
Library
32694
LAHORE.

مجلة

إقباليات

(العربية)

العدد الثاني،الثالث

١٩٩٣/١٩٩٤م

*****

رئاسة التحرير

الأستاذ الدكتور وحيد قريشي

الأستاذ محمد سهيل عمر

الأستاذ الدكتور وحيد عشرت

الأستاذ محمد أصغر نيازي

المسؤل

الأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر

فهرس المحتويات

١* كلمة العدد	لرئيس التحرير
٢* كلمة الافتتاح للكتاب الشهر الخالد	للدكتورجاويد إقبال
٣* هل للإسلام دور في النظام العالمي الجديد	للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
٤* مشاركة اللغة الفارسية في الحضارة الإسلامية	للدكتور مهدي محقق
٥* دور اللغة الأردية في تطوير الحضارة الإسلامية	للدكتور جاويد إقبال
٦* الأدب الأردي المعاصر ومدى تأثره بالأدب العربي المعاصر	للدكتورظهور أحمد أظهر
٧* العلامة محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية	للدكتورخليل الرحمن عبد الرحمن
٨* فكرة الحسرية عند العلامة إقبال	للأستاذ الدكتور وحيد قريشي

مجلة إقباليات

دورية تصدرها أكاديمية إقبال ومتخصصة للأبحاث عن إقبال وفكره وتصدر سنويا .

وهذه بحوث ومقالات عن الحضارة الإسلامية والعلوم الدينية والفلسفة والتاريخ والشعر والأدب والتي يساهم بها الخبراء والمتخصصون في المجالات العلمية المختلفة ، والمجلة ترحّب بمقالات وأبحاث عن هذه الموضوعات .

* * * * *

العنوان البريدي

١١٦ ميكلود رود لاهور ، باكستان

ثمن النسخة : ٨٠ روبية - ٤ دولار أمريكية

وظيفة للبيع ١١٦ - خيابان ميكلود ، لاهور ، باكستان

تلفون : ٣٥٧٢١٤

رقم بريدي : ١٤٠٨ لاهور

تلغراف : IQDEMY

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

تبدأ "الإقبالیات" (مجلة أكادمية إقبال)بعددها العربي الثاني هذا وتحت إشراف الكاتب لهذه الأسطر ، خطوة جديدة على طريق من القيام بخدمة فكرة إقبال ورسالته التي هي ليست إلا رسالة الإسلام وفكرته . تلك الرسالة السامية الخالدة التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم والتي جاءت لتنقذ البشرية مما كانت تعانيه من الإصر والأغلال التي كانت عليها.إنما هي الرسالة الخالدة التي ذكرها إقبال غير مرة في شعره فسماها بالمدنية الحجازية أي مدنية الحرمين الشريفين ومدنية الإسلام العريقة.

ويضم هذا العدد بحوثا ومقالات للكتاب الإسلاميين الأفاضل ورجالات الفكر الإقبالي،وعلى رأسهم نجل العلامة محمد إقبال الدكتور جاويد إقبال الذي قد ساهم في هذا العدد بكلمتين إحداهما عن اللغة الأردية ودورها في تطوير الحضارة الإسلامية في شبه القارة والثانية هي كلمة الافتتاح لكتابه القيم عن حياة إقبال وفكره وشعره والذي قدسماه زنده رود أي النهر الخالد وسينشر الكتاب بالحلقات المتتالية في أعداد المجلة القادمة ومن ضيوف هذا العدد الأستاذ الكبير الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق والذي يتحدث عن دور الإسلام في النظام العالمي الجديد ومنهم العلامة الفذ الدكتور مهدي محقق من علماء إيران الأفاضل وأساتذتها الكبار الذي يخبر القارئ عما قام به العلماء الإيرانيون من المشاركة في خدمة الحضارة الإسلامية وتطورها .

الدكتور ظهور أحمد أظهر

كلمة الافتتاح

للدكتور جاويد إقبال

كان ذلك في صيف عام ١٩٧٥م حين اعتزمت على تأليف هذا الكتاب عن حياة (إقبال) فقد رأيت ابناى (منيباًووليداً) وهما يلعبان في إحدى الغرفات من الدار فبدا لي وأنا أنظر إليهما بأن (إقبال) كان قد جعل مني رمزا حين أراد أن يخاطب شباب هذه الأمة في شعره إلا أن الوقت قد مضى بسرعة ومرت الأيام سريعة إلى أن نشأ جيل جديد من أبنائنا وأنه قد يمكن أن يتمكن هذا الجيل الجديد من فهم ما جاء من الفكر والدعوة في شعر(إقبال) أكثر وأحسن ممانفهمه نحن الآن وذلك لأن (إقبال) إنما هو شاعر الغد وشاعر المستقبل إلا أنه لا بد من الإطلاع على حياة أي مفكر من المفكرين قبل الفهم الكامل والإدراك التام لما جاء به من الأفكاروالنظريات والآراء .

وقد ألف الكثيرون من الناس عن شخصية (إقبال) وفكره وفلسفته حيث نجد عددا لا بأس به من البحوث والمقالات والكتب المؤلفة التي تتناول الجوانب المختلفة من حياته وفكره وفنه والتي بذل فيها ' الإقباليون " ــ إذا صح هذا التعبيرــ مجهودات جبارة تستحق التقدير والإعجاب إلا أنها لا تزال

متفرقة مبعثرة وأن ما كتب عن حياة (إقبال) قليل جدا بالنسبة إلى ما كتب عن الجوانب المختلفة الأخرى كما أن معظم هذه المؤلفات لا تحوي الكثير من التفاصيل عن حياته ولا تفي بالغرض ولاتشفي الغليل .

وأما أول من كتب مقالا عن حياة (إقبال) من بين أصدقائه فهو عبد القادر رئيس التحرير لمجلة (مخزن) اللاهورية وكان هذا المقال قد نشر في مجلة "خدنك نظر" (أي سهم النظر) الصادرة من مدينة (لكهنؤ) في عددها لشهر مايو سنة ١٩٠٢م ثم تلاه الشيخ (محمد دين فوق) فكتب مقالا وعنوانه (حالات إقبال) وقد نشر في (كشميري ماجزين) أي المجلة الكشميرية الصادرة من لاهور في إبريل ١٩٠٩م ثم جاء (النواب السير ذوالفقار على خان) والمولوي أحمد دين المحامي فألف كل واحد منهما كتيبا من بضع صفحات عن هذا الموضوع إلا أنه لم يؤلف أحد كتابا مستقلا جامعا عن حياة (إقبال) وهو حي يرزق والسبب في ذلك أن (إقبال) هو الذي لم يكن يتعاون مع أحد لتحقيق هذا الغرض لأنه لم يكن يرغب في الشهرة أو السمعة كما أنه لم يكن يحب أن تعرف الوقائع عن حياته فإننا نراه يكتب في بعض رسائله قائلا بأنه لم يحدث شئ غيرعادي في حياته يمكن أن يكون موضع اهتمام واعتبار لغيره من الناس ولكن التغيير التدريجي الذي حدث في فكره وفلسفته قد يمكن أن يكون موضع الاهتمام والاعتبار للآخرين ، وكان (إقبال) يود أن يسجل الظروف والعوامل التي أثرت في قلبه وعقله فحدث به ذلك التغيير التدريجي في فكره إلا أنه لم تتح له الفرصة أن يحقق أمنيته تلك وقد بقي هذا الموضوع من بين الأهداف التي لم يتمكن (إقبال) من تحقيقها!

ويقول (إقبال) في موضع آخر بأن ما وصل إلينا من المؤلفات عن تاريخ الفكر والفلسفة تخبرنا بالتطور التدريجي في الفلسفة وذلك بدراسة ما

ناله هؤلاء الفلاسفة والمفكرون وما تقدموا به من الأفكار والنظريات الفلسفية إلا أن هذه المؤلفات لا تخبرنا بشئ عن الظروف والعوامل أو البيئة التي أثرت فيهم وجعلتهم يسجلون أفكارهم كرد فعل لهذه الظروف وعوامل البيئة التي عاشوا فيها فتأثروا بها ومن ثم هذه الكتب المؤلفة عن تاريخ الفكر والفلسفة لا تشفي الغليل ولا تفي بالحاجة . وهذا مما يدل دلالة واضحة على أن (إقبال) كان يهتم كثيرا بمعرفة البيئة التي عاش فيها مفكر أوفيلسوف وذلك للإدراك التام لفكره وفلسفته الخاصة .

وقد درست الكتب المؤلفة عن حياة (إقبال) بعد وفاته وقبل الاحتفال بذكراه المئوية دراسة عميقة كما أنني قد اطلعت على المقالات والكتب المؤلفة عن حياة (إقبال) والتي وصلت إلى أو حصلت عليها إلا أن المعلومات التي كنت في حاجة إليها عن هذا الموضوع بالذات لم أتمكن من الحصول عليها والتي حصلت عليها لم تستطع أن تشفي الغليل . وهذا مما جعلني أعتزم على تأليف كتاب عن حياة(إقبال) وترجمته يتناول جوانب التطورالتدريجي لفكره وفلسفته إلى جانب الدراسة الشاملة للظروف وعوامل البيئة التي عاش فيها وأما الجانب الخاص عن حياة (إقبال) فيجب أن نهتم به اهتماما ثانويا كماكان يرى هو نفسه.

وأخذت أجمع المعلومات والمواد الدراسية والبحث لإعداد الباب الأول من الكتاب أي آباء إقبال وأصله ، وقلت يوما لزوجتي على سبيل المزاح وأنا مستمر في بحثي هذا بأن بَنَادِيْت كشمير أو براهمتها هم الذين حرروا الهند وجعلوا منها دولة مستقلة كما أن الدولة الإسلامية أي باكستان قد أعطى فكرتها أيضا بَانَدِيْتُ من بنديت كشمير ، وعليه فإن هذا الخصام كله إنما هي مشاجرة بين بناديت كشمير أو براهمتها !

ولست من الذين يهتمون الكثير بالأحلام وتعبيرها ولكن زوجتي هي التي تهتم الكثير بمثل هذه الأشياء وقلما رأيت (إقبال) في المنام إلا أنني رأيته فيما يرى النائم تلك الليلة فبدا لي وكأنني جالس فوق سقف (جاويد منزل) وبجانبي كومة من الأوراق البيضاء على طرف السقف وإذا بي أرى (إقبال) يظهر من ناحية وقد لبس الإزار والقميص التحتاني وظل يمشي كما عهدته على مهل فاقترب مني رويدا رويدا وإذا بوجهه آثار من السخط وإذا به يخاطبني قائلا باللغة الإنجليزية ما معناه: ماذا تكتب في هذه الأيام بهذه الطريقة؟ فأنا أرد عليه بقولي: أما أنا فكل جهدي مقصور على أن تصل أفكارك وآراؤك إلى الناس بأصح مايمكن من الطريق ثم أراه يرد عليّ قائلا: أما انطباعاتي عن جهدك هذا فسوف تراها غدا! وفجأة يتغير مشهد الرؤيا فأراني على شجرة مورقة غناء وأجمع القطعات من الورق المبعثرة الملتصقة بأغصان الشجرة وأشعر كأن شخصا آخر غيري موجود هناك أيضا يساعدني إلا أنني لم أتمكن من أن أتبينه إلا أنني أراني أقول له بلهجة من يشكو: يا للعجب! أنني أبذل جهودي هذه في القيام بانتشار فكره وآرائه إلا أنه لا يعجبه ذلك ولا يُرضيه!

وفي أثناء ذلك انتبهت فرأيت الساعة فإذا بها تدق الثالثة والنصف، وكانت الرؤيا عالقة بذاكرتي إذ كنت حديث العهد بها وأخذت أبحث عن الورق والقلم لأسجلها حتى لا تغيب عن الذاكرة إلى الصباح وكانت زوجتي أيضا قد انتبهت فحكيت لها تلك الرؤيا التي رأيتها فبدأت زوجتي تعبر عن رؤياي قائلة بأن صعودي على الشجرة وجمعي لقطعات الأوراق المعلقة عليها الملتصقة بأغصانها إنما يعني أنك مشغول في هذه الأيام بالبحث عن شجرة النسب له إلا أنه ساخط عليك بسبب من الأسباب، وعلى كل حال فعليك أن تنتظر الإشارة منه غدا بهذا الصدد.

فقضيت اليوم التالي كله انتظر منه الإشارة إلا أن الأمر الذي لم أزل أفكر فيه مرة بعد كرة هو العلم بالسبب الذي جعله يسخط على فأظلني الليل ولم أتلق منه أية إشارة أو رسالة . أما زوجتي فذهبت إلى مضجعها وهي تقول لي أن أنتظر الإشارة حتى الساعة الثانية عشر من ذلك اليوم وأما أنا فتضايقت بنفسي حيث كنت قد أصبحت خرافيا إلى هذا الحد ، وصدقت ما قالته زوجتي وضيعت اليوم كله في ذلك التفكير الخرافي ،وكادت الساعة أن تدق الثانية عشر من ذلك اليوم ولم يبق منها إلا بضع دقائق ولكن النوم كان قد ذهب عني فأردت أن آخذ كتابامن الدولاب لأقرأه فصادفتْ يدي الجزء الثاني من (روز گار فقير) وفتحت الكتاب تلقائيا فإذا بنظرتي تتركز على الصفحة ١٢١ من الكتاب،وكنت أمام قطعة شعرية (لإقبال) يقول فيها :

إن ذكرى الأيام الماضية تجعلني أخجل
لأنها تذكّرني بعبادة الأصنام (فيما مضي)!
وما دامت غرّة الإسلام بجبين (إقبال) متلألئة
فإنه يخجل حين يقال له :يا بَانَدِيْتُ (اي بَرَهْمَنُ) !

وهكذا كان (إقبال) قد أبلغني عن انطباعاته لما كنت أعمل عن حياته فأيقظت زوجتي وأنشدتها القطعة الشعرية فأخبرتني قائلة بأن الذي جعله يسخط عليك إنما هو قولك في استقلال الهند وإنشاء باكستان وأن هذا الخصام كله إنما هي مشاجرة بين بَنَادِيْت كشمير أو براهمتها فقلت لها بأن ذاك لم يكن إلا على سبيل المزاح فقالت : فإن ذلك لم يعجبه منك وحتى على سبيل المزاح ولم لا ؟ لأن الذي جعله يخجل ويندم وهوحيّ فإن ذلك مما لا يليق بك أن تقوله حتى ولوكان ذلك على سبيل المزاح ! ويجب أن تستمرفي بحثك هذا عن ترجمته وحياته ، وأعتقد بأنه سوف يُنَبِّهك على أخطائك التي قد ترتكبها ويهديك

الطريق في ذلك !

وكنت قد توقفت عن العمل في ترجمته بعد أن انتهيت من البابين الأولين، وذلك لأن إجراءات الاحتفال بذكرى مولد(إقبال) المئوية كانت قد بدأت ، إذ كنت أعتقد بأن أحدا من الكتاب الخبراء المحنكين سوف يهتم بحياة(إقبال) في ١٩٧٧م (أي عام الذكرى المئوية لمولد إقبال) ويمكن أن يقوم بهذه المهمة خير قيام وأحسن مما أقوم به أنا، إلا أن المؤلفات التي نشرت خلال هذا العام لإقبال أو عنه لم تكن على المستوى المطلوب ، والنهج الذي كنت أريده ، ومن ثم على الرغم من أشغالي الكثيرة المتنوعة بدأت هذا العمل من جديد .

وأما نتيجة هذا العمل والجهد المبذول فهو بين يدي القارئ الكريم فالكتاب يحوي التفاصيل الوافية عن التطور التدريجي في فكر (إقبال) والبيئة التي عاش فيها وأما حياته الخاصة فهي تحتل مكانة ثانوية في هذا الكتاب ،ومن هذه الناحية فإن هذا الكتاب لا يحتوي على ترجمة (إقبال) وحياته ، وإنما هو تاريخ لعصره الذي عاش فيه وهو (أي الجزء الأول) ينتهي على الثورة الفكرية الهامة التي حدثت في حياة (إقبال) وفكره ، وذلك حين كان قد أكمل دراساته ، وبعبارة أخرى كان التطور التدريجي التكويني من حياته قد انتهى ، وكان فنه الشعري قد عبر المراحل المختلفة أو الأطوار الابتدائية ، ووصل إلى نقطة تحول ،وقد حان له أن ينطلق انطلاقة جديدة تجعل من شعر(إقبال) نداء لتحرك القافلة أو حداء لرحيلها وأنشودة جبريل الصاخبة الهائجة المهيجة أو ليكون الشعر جزءا من الرسالة ! وما رأيت (إقبال) فيما يرى النائم بعد ذلك خلال تأليفي لهذا الكتاب، وأرى أنه لم يشعر بحاجة إلى أن ينبهني أو يهديني الطريق ولكن ليس معناه بأن الكتاب هو الكلام الأخير في

الموضوع ، وأما بقية من جوانب حياة (إقبال) فإن إبرازها الكامل يقصر على تشجيع القراء الكرام رغم أنني أعتزم على إكمال هذا المشروع بدون أية رغبة في المدح والتقريظ وبدون أي اعتناء بجائزة أو تشجيع!

وأما تسمية (زنده رود) فهو الاسم الذي اختاره إقبال لنفسه في (جاويد نامه) و "زنده رود" معناها :النهر الجاري الدائم الخلاق للحياة وعن ذلك النهر يقول إقبال :

- ذلك النهر المتفجر من سلسلة الجبال الذي يرمختطفاً مشتبكاً مهتزاً منحدراً!

- الذي يثب حينا وينزلق حينا آخر ثم يغيب ثم يبرز بعد جولات من النشوب والالتفاف حول الجبال والأودية !

-إنه إذا وقف في مكان لثقب في الصخور ومزقها وخرق صدور الجبال وفرّجها !

- انظر إليه أيها الساقي الذي يسقي الخمور الحمراء ! إن هذا النهر هوالذي جاء برسالة الحياة إلى البشر !

إن حياة إقبال إنما هي عبارة عن تطور الحياة الفكرية التي تمضي وتستمر بصفة دائمة مستقلة متواصلة لا تقف عند مكان ولا تنتظر لزمان وحتى أن الموت لا يستطيع أن يمسها بسوء . إنه لم يكن يهتم كثيرا بحياته المادية ومن ثم لا يليق اسم من الأسماء أن نستعيره لحياة إقبال هذه غير أن نسميها بالنهر الخالد (أي زنده رود)

ويبدو كأن إقبال كان قد اختار هذا الإسم (أي زنده رود أو النهر الخالد الجاري) لنفسه لأنه يرجع إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا المرجع خَلفِيَّةٌ خاصة يجب أن نطلع عليها فقد كان إقبال من المعجبين بالشاعر

الألماني(غوتيه) الذي كان قد تأثر كثيرابالتعاليم القرآنية والسيرة النبوية الطيبة حتى أنه كان قد اعتزم على أن يكتب مسرحية منظومة عن الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أنه لم يستطع أن يكتب إلا التمهيد لتلك المسرحية ولم يكملها، وهذا التمهيد أو الافتتاحية كان عنوانها : أنشودة محمد (صلى الله عليه وسلم) وقد جاء (غوتيه) في هذه المنظومة ، وهو يشرح معنى النبوة في حوار قام بين علي وفاطمة رضي الله عنهما ، باستعارة لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم فَشَبَّهَه بالنهرالخالد الخلاق للحياة الذي يجمع في جوفه الكثير من الأودية والجداول والغدران ثم ينصب في محيط ، أي أنه صلى الله عليه وسلم يقود الناس ويهديهم إلى سبيل الله سبحانه وتعالى ، وكان إقبال قد اطّلَعَ على هذه المنظومة ودرسها ودرس ما فيها من الاستعارات والتشبيهات دراسة وافية بل هو ترجمها ترجمة حرّة وضمها إلى ديوانه الشعري (رسالة الشرق) وقد عَنْوَنَهَا بنهر الماء ، وكان يرى إقبال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الإنسان الكامل ، ومن ثم يجب على كل مسلم أن يهتدي بهَدْيه ويقتدي بأسوته الحسنة ، وهذا ما جعله يختار لنفسه اسم النهر الخالد (اي زنده رود) خلال رحلته الروحية إلى السموات في ديوان شعره الخالد (جاويد نامه أي رسالة الخلود) .

وقد جعلتني عاطفة الحب أن أذكره في كتابي هذا باسمه (أي إقبال بدل الوالد أو والدي) إلا أن هذه الصراحة وعدم الكلفة التي يمتاز بها أسلوبي في الكتاب لم أترك لها المجال لتتعدّى حدود التكريم والاحترام على أية حال ، وكنت قد بلغت الثالثة عشر والنصف من عمري حين توفي إقبال إلى رحمة الله ، ولا يمكن لي أن أدّعي معاصرته إلا أنني رأيت شيئا من السهولة ، بحكم بُعدي عن عصره، في أن أختار وجهة نظر أو أسلوب بيان يجعلني خارجا من

عصره، ومن ثم حاولت أن أقدم الوقائع والأحداث بأسلوب يدل على الحياد وعدم الانحياز وأما المراجع والحواشي لكل باب فقد ذكرتها في نهاية الكتاب كما أنه يضم شجرة النسب لأسرة إقبال التي أعدّها (الشيخ إعجاز أحمد) إلى جانب الإضافات الجديدة التي أُعِدَّتْ في ضوء ما أعده (الشيخ محمد دين فوق) من أنساب الأسرة ، وأسجل شكري للدكتور معز الدين ومحمد حنيف شاهد اللذين قد زوداني بالمراجع من مكتبة بنجاب العامة ومن أكادمية إقبال.

(من كتاب زنده رود للدكتور جاويد إقبال)

(تعريب : الدكتور ظهور أحمد أظهر)

* * * * *

THE MUSLIM WORLD

A JOURNAL DEVOTED TO THE STUDY OF ISLAM AND OF CHRISTIAN-MUSLIM RELATIONSHIP IN PAST AND PRESENT

Founded in 1911.
Sponsored by Hartford Seminary since 1938.

Offers a variety of articles on Islamic Theology, Literature, Philosophy, and History. Dedicated to constructive inter-religious thought and interpretation. Book reviews. Current notes. Survey of periodicals.

Annual Subscription Rates: Individuals, U.S. $18.00
Institutions, U.S. $25.00
Air Mail: Please add $12.00
(Please draw checks on U.S. bank or use international money order.)

Please make checks payable to *The Muslim World* and mail to:
The Muslim World
77 Sherman Street
Hartford, Connecticut 06105, U.S.A.

Published by
The Duncan Black Macdonald Center
at Hartford Seminary

هل للإسلام دور في النظام العالمي الجديد *

للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

* ـ محاضرة ألقيت في المؤتمر العام التاسع لمؤسسة آل البيت بالأردن

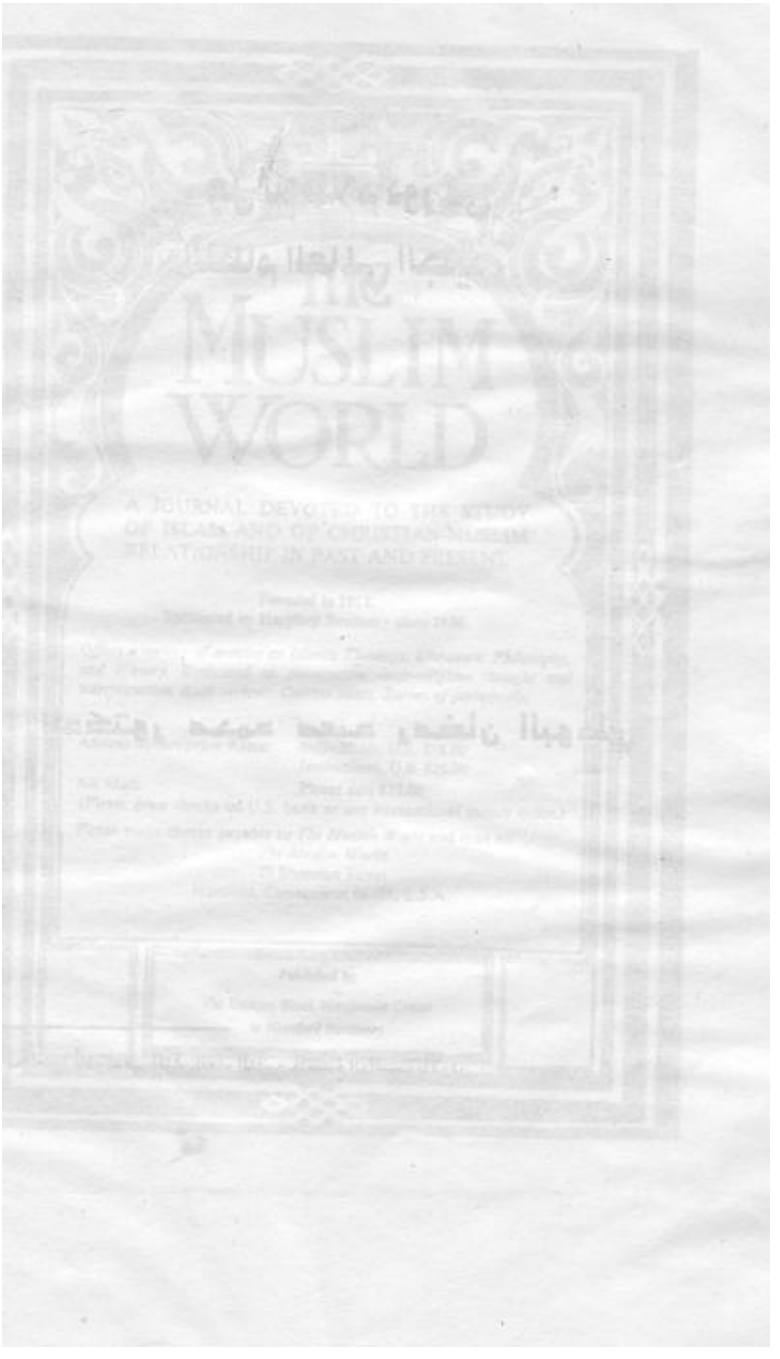

١- من المؤسف أن هذا التساؤل إنما يشغل بال المجتمعات الغربية وحدها. فهم الذين يتطارحون فيما بينهم هذا الأمر في اهتمام بالغ، وفي افتراضات خيالية شتي للآثار والنتائج المتوقعة.

أما المجتمعات الإسلامية التي يفترض أن تكون هي المصدر الأول للاهتمام به لا ، بل أن تكون هي الساعية إلى رسم الجواب المطلوب ، ثم الساعية إلى وضعه موضع التنفيذ فهي في شغل شاغل عن هذا كله .

غير أنها - والحق يقال - تشترك مع ساسة المجتمعات الغربية والمفكرين فيها، في الحديث عن طبيعة نظام عالمي جديد يتجه التفكير إليه، بل يوشك أن يتكامل ميلاده . وتصغي باهتمام ربما إلى ما قد يقال عن طبيعة هذا النظام وأهدافه .وربما ظهر في مجتمعاتنا هذه من قد يطرح بعض التعليقات أو التصورات أو التوقعات، تظرفاً أو لفتاً للأنظار ، أو تهرباً -ولو في الشكل - من العزلة التي تلاحقنا ، وتقترب دائرتها المحيطة بنا، تدريجيا من سائر الجهات والأطراف.

مهما يكن ، فإن هذا الاشتراك لا يتجاوز الحدود الكلامية . بل الإنشائية التقليدية. أما هذا الذي يهتم به الفكر الغربي من التساؤل عن مدى إمكانية افتراض أن يلعب الإسلام دورا ما في اختيار هذا النظام أو إرسائه أو الوقوف في وجهه، فهوما لايعبأبه المجتمع الإسلامي لا على مستوى الساسة القياديين، ولاعلى مستوى العلماء والمفكرين. ولاشك أن الوقائع الفردية في مثل هذا الأمر، لا قيمة لها، ولايرصد لها أيّ حساب .

٢- ولكن، فلنتساءل عن السبب الذي يكمن وراء اهتمام الغربيين بهذا الذي كان أحرى بالمسلمين أنفسهم أن يهتموا به .. ما الذي يحملهم على افتراض أن الإسلام يمكن أن يتسرب بعقائده أو أي من مبادئه الفكرية والحضارية إلى بنيان النظام العالمي الجديد الذي يحلم به الغرب ولمايولد بعد ، ومن ثم فما الذي يخيفهم منه ، على احتمال أن يكون له في هذا النظام أي دور أو وجود ؟.

إن السبب يتمثل في تحطم ذلك الصرح الذي حسب كثير من الناس، إلي أمد قريب أنه يشكل إيديولوجية لحضارة إنسانية كاملة، بدأ من الأساس الاعتقادي المتمثل في تفسير الكون والإنسان والحياة ، وانتهاء بالأنظمة الحياتية والسلوكية المختلفة التي تعدّ ثمرة طبيعية، بل علمية لذلك الأساس.

وإننا لنذكر جميعا كيف أن محترفي الغزو الفكري ضد الإسلام ،على اختلاف نحلهم وانتماءاتهم السياسية. كانوا يرون في ذلك الصرح الماركسي، الصيغة العلمية الأولى ، بل الوحيدة ، التي يمكن أن يجابه بها المدّ الإسلامي كي يبقى حبيساً داخل حدود التقليدية الضيقة، بل كان الأمل قويا أن يتحقق لهم من ذلك الصرح سلاح هجومي يقارعون به العقائد والمبادئ والأنظمة الإسلاميةداخل أفكار المسلمين أنفسهم.

فلما تهاوي ذلك البنيان وتحول إلى حطام من قمته إلي أساسه، أفزع الأمر الأعداء التقليديين للإسلام والمسلمين في المعسكر الغربي، بمقدار ما أسعدهم وأثلج صدورهم. ذلك لأنهم رأوا أن انهيار المعسكر الشرقي بكل أسسه ومقوماته، يعني تحطم الترسانة الوحيدة التي كانت تحول دون تسرب مبادئ الإسلام وقيمه إلى الفكر الغربي والمجتمعات الغربية. بل كانت تحاول أن تشلّ فاعليته الحية حتى داخل الوطن الإسلامي.

وإذا كانت أمريكا - كما هو معلوم لنا جميعا- تستعين فيما مضى ، لدرء خطر الإسلام عنها ، ولإضعاف فاعليته في بلاده ، بالفلسفة الماركسية ومروجيها وأنصارها، بالدعم والتشجيع وتوطيد المناخات الملائمة لنموّتلك الفلسفة وانتشارها - فبمن تستعين لدرء هذا الخطر اليوم ؟ ومن خلال أي صيغة إلحادية أو لادينية، يمكنها أن تتقدم لمحاربته؟ ومن أين لها أن تخلق البديل المناسب عماكان معروفا في بلادنا باسم "الشيوعية الامريكية"؟

لقد تهاوت الترسانة التي كانت خير أداة، من وجهة نظر الغرب ، لتحطيم النشاط الإسلامي في ربوعه وخارج ربوعه، وهو الأمر الذي جعل خطر هذا النشاط وشيكاً ، وجعل السبيل بين الإسلام وعقول الناس ميسرة معبدة هذا إلي جانب أن كتلاً إسلامية لا يستهان بها ظهرت تحت أنقاض ذلك المعسكر الذي تهاوى، وهي أقوى ما تكون اعتزازاً بهذا الدين وقناعة به وإدراكاً له ، دون أن يخنق أو يضعف شيئاً من ذلك كله،القهر الذي تطاول أمده واستمرّ قرابة قرن من الزمن .

٣- إذن ، كان لا بدّ أن تزداد مخاوف الغرب من الإسلام،وأن يفترض كثيراً من النتائج التي لن تكون لصالحه ، في الوقت الذي لم يستطع أيضاً أن يخفي اغتباطه بانهيار المعسكر المنافس الذي استراح الغرب بزواله من أعباء

الحرب الباردة بسائر ذيولها وتبعاتها .

ولعل أول تصريح يكشف عن الحجم الحقيقي لهذه المخاوف، ويتم نشره وتصديره بطريقة لم نعهدها لدى الغرب من قبل ، تلك الكلمات التي نقلتها إذاعة لندن في بثها العربي عن لسان تاتشر، مساء اليوم الثالث من شهر شباط عام ١٩٩٠م في برنامج الشؤون العربية في الصحف البريطانية. وهذا هو التصريح :

" كان أمام الغرب عدوان اثنان : الشيوعية والإسلام. وقد تم القضاء على العدو الأول ، دون أن يقدم الغرب في سبيل ذلك خسائر تذكر. ويقف الغرب اليوم مع الشرق الأرثوذوكسي والكاثوليكي في خندق واحد ، لمجابهة العدو الباقي وهو الإسلام ".

ولا ادري هل كان لحرارة هذا التصريح ومظهره العدواني الواضح ، أثر ما في إقصاء تاتشر عن الحكم ، وقد جاء بعد تصريحها هذا ببضعة أشهر فقط

أيا كان الامر،فإن التصريحات المشابهة، ظلت تصدر إلى يومنا هذا تباعاً من مسؤولين غربيين في كل من أمريكا وفرنسا، وإن كانت تتسم بأساليب أقل إثارة، وتبتعد في نقدها المباشر عن جوهر الإسلام، لتتجه إلى ما يصاحبه اليوم من أحوال كثير من المسلمين وأنشطتهم التي يمارسونها باسم الإسلام ،وفي مقدمة ذلك مظاهر العنف والتطرف التي غدت بالنسبة إلى الغرب ذريعة هامة وباهظة الثمن، قد لايقوم مقامها أي بديل في ستر عدوانهم الحقيقي لجوهر الإسلام.

إن الانتقادات الشديدة التي توجه إلى الإسلام اليوم ، من خلال استمرار لفت النظر إليها يسمونه بالتطرف آنا والأصولية آنا آخر ،ومن خلال رسم صور كاريكاتورية وهمية سوداء ، لكثير من مبادئه وقيمه ، تتزايد يوماً بعد يوم غير

أنها تبرز مشاعر الخوف منه، أكثر من أن تعبر عن مشاعر الازدراء والاشمئزاز تجاهه.

وقد يجدر في هذه المناسبة أن أنقل - مثالاً بارزاً يجسد ما أقول - صورة دقيقة عن حوار جرى بين السيد الرئيس حافظ الأسد ، رئيس الجمهورية العربيةالسورية، ومعاون وزير الخارجية الأمريكية السابق، السيدمورفي، في لقاء تم بينهما في دمشق، أنقلها طبقاً لما حدثني به السيد الرئيس مباشرة : قال السيد مورفي: ألا تلاحظون أن خطر المسلمين الأصوليين عاد يظهر في بلادكم من جديد؟

أجابه السيد الرئيس : ليس بيننا وبين المسلمين الأصوليين أي مشكلة.. وإنما كانت مشكلتنا مع المسلمين غير الأصوليين .

ثم قال له : إن أصول الإسلام تتمثل في القرآن الذي هو كلام الله ،وفي السنة التي هي تعاليم رسول الله ، ولا شك أن المتمسك بهذين أصلين إنسان مثالي الأخلاق والسلوك. ثم تابع الرئيس يقول : لقد أصبحت شخصياً على قناعة تامة بأن مشكلات الشرق، ومشكلاتنا بالذات، لا يمكن حلها إلا من خلال الإسلام.

قلت للسيد الرئيس :كيف كانت انطباعات الرجل من كلامكم هذا ؟ أجاب قائلاً : لقد حاول جاهداً أن يخفي فزعه الذي اتسم واضحا على قسمات وجهه، وأن يبدد حيرته تملكته في الإجابة عما لم يكن يتوقع أن يسمع !.

وقد حدثني قبل عامين وزير الشئون الدينية الأسبق في الجزائر، أن الرئيس الفرنسي أرسل إلى الرئيس الشاذلي بن جديد، بعد إعلان النظام الديمقراطي في الجزائر ، ووضعه موضع التنفيذ، يناشده إعادة النظر في هذا القرار، لاسيما بالنسبة للحركات والأنشطة الإسلامية، وأكد له أن فرنسا

مستعدة مقابل ذلك لتحمل سائر الديون التي ترزح الجزائر تحت وطأتها..ولكن الرئيس الشاذلي أجابه: إن أبواب الديمقراطية قد تم فتحها ولا مجال لإغلاقها ثانية . أما الديون فالله هو المستعان في سدادها.

إذن فالغرب في الوقت الذي أعلن عن اغتباطه بزوال المعسكر الشرقي المناوئ، لم يستطع أن يخفي فزعه الشديد من مدّ إسلامي متوقع، في أعقاب انهيار سدّ الالحاد الشيوعي.

على أن ميلاد هذا الفزع أو التخوف من المدّ الإسلامي المتوقع ، لم يكن مصاحباً لانهيار المعسكر الشيوعي وموت الأيديولوجية الماركسية. بل هو تخوف، قديم ظل يساور قادة المجتمعات الغربية بدءا من عصر النهضة الأوربية الذي صاحب انهيار الخلافة العثمانية، ولعلنا لم ننس بعد تقارير كبار المبشرين والمستشرقين من أمثال صموئيل زويمر ، ووليم بالكراد، والمستشرق الانكليزي. جب، وغيرهم .وهي جميعا تلتقي على التنبيه إلى خطورة الإسلام على الحضارة الغربية ، نظراً لما يتصف به من مقومات البقاء والعوامل الذاتية التي تدفع به إلى النموالانتشار خارج أقطاره (١).

غير أن هذا التخوف ازداد سلطانه ،في نفوس قادة تلك المجتمعات ، بانهيار هذا السد الذي كان يشكل- في تصورهم - أقوى حاجز، يعوق الإسلام (باسم العلم والفلسفة المادية الحديثة) عن التقدم والانتشار .

٤- والآن ، ما هي التدابير التي اتخذها الغربيون ، على إثر ظهور هذا الوضع العالمي الجديد الذي زاد من خطورة الإسلام على مصالحهم ، فيما يقدرون ويتصورون ؟

أعتقد أن هذه التدابير التي سأشير إليها باختصار شديد ، لم تتخذ عقب انهيار المعسكر الاشتراكي أوالشيوعي، كما قديتصور البعض،بل كانت

مرسومة جنباً إلى جنب مع التدابير المتخذة للقضاء على ذلك المعسكر والتخلص من عقابيله كلها .. فالخطط المرسومة والرامية إلى زج المعسكرالاشتراكي إلى الإفلاس فالدمار، كانت في الحقيقة جزءا من الخطط الرامية إلى تحجيم فاعلية الإسلام والمسلمين، وتبديد سلطان الإسلام وقوته من خلال شغل العرب والمسلمين بمزيد من المشكلات وأسباب الفرقة والشتات .

أي أن سلسلة التدابير التي اتخذت لإنهاء الاتحاد السوفياتي وتفكيك عراه، هي ذاتها التي تضمنت، فيماتضمنت ، رسم الأسباب المباشرة لما قد جرى بعد ذلك من اجتياح العراق للكويت ،ثم الجاء دول المنطقة إلى الترامي على أذيال الولايات المتحدة ، لكي يتاح لها أن تغزو المنطقة، وهي متفضلة ومشكورة !..

أجل فسلسلة التدابير واحدة، وحلقاتهامتساندة ومتسقة، وليس في الأمرخطة مستقلة ألحقت بأختها بعد ظهور أحداث أو طروء مفاجآت (٢) .

ولكن فما هي هذه التدابير التي كان الغرب ولا يزال يتخذها عموماً، ثم الولايات المتحدة خاصة، من أجل تبديد المخاوف المتفاقمة لديها ، من مد إسلامي ينتشر ويهيمن على أعقاب انفراد القوة الأمريكية، تقريباً ، على مسرح الأحداث ؟

إن الحديث التفصيلي عن هذه التدابيريدخلنا في متاهات وعلاقات معقدة جداً وهي هدف مطلوب بحد ذاته ، بل هي جزء أساسي من سلسلة التدابير ذاتها. غير أن نظرة متفحصة إلى الخطوط العريضة المستخلصة، تضعنا أمام تبصر واضح للأهداف الفرعية التالية !

أولاً- إثارة مزيد من المشكلات التي تستعصي على الحلّ،في العلاقات القائمة بين معظم الدول الإسلامية لا سيما العربية، ابتغاء تبديد ما قد تتمتع

به من استقرار وقوة، وزجها جميعا في يمّ من القلق وفقدان الثقة ، ومن ثم إخضاعها لتيار التبعية السياسية والفكرية والاقتصادية للغرب .

إن حرب الاستنزاف التي اتقد سعيرها بين العراق وإيران ، وانتهت إلى ما عبروا عنه مجاملة :(لا غالب ولا مغلوب) وهي إنما انتهت في الحقيقة إلى هلاك مرسوم حاق بكلا الطرفين - إن هذه الحرب ليست إلا واحدة من هذه المشكلات المبرمجة ابتغاء الوصول إلى آثارها المتطلبة . ولعل الذين تابعوا ماسمي بفضيحة ايران غيت ، وصبروا على متابعة تعقيداتها المصطنعة بدقة إلى النهاية ، أتيح لهم أن يضعوا أيديهم على الخطط الخفية التي رسمت ابتغاء هدف واحد ، هو أن تدور من تلك الحرب رحى الدمار على سائرما قد يوجد من قدرات مادية ومعنوية لدي كلا الطرفين، بعد إثارة عوامل البغضاء العرقية بينهما إلى أقصى الحدود الممكنة (٣)

وإن مأساة الخليج التي بدأت بخطة اجتياح العراق للكويت، ثم أدت إلى انتشارالجيوش الأمريكية وحلفائها متمركزة حول ينابيع البترول، ثم خلقت من ورائها عوامل التدابر والبغضاء ، وأحالت كثيراً من دول المنطقة، إن لم نقل كلها إلى محاور متشرذمة، قد تقطعت مما بينها جسور التواصل والقربى، لتترسخ في مكانها جسور من العاطفة المشبوبة نحو الغرب !... أقول : إن هذه المأساة التي فرضت على المنطقة فرضاً، حلقة فريدة في سلسلة هذه التدابير المبرمجة ، وهي مرتبطة ارتباطاً مباشراً بعمليات التعجيل بالقضاء على المعسكرالشرقي .

والثمرة المرجوة من جرّ هذه المأساة ، هي فرض السياسة الأمريكية الجديدة على المنطقة، والدائرة على محور (سأنقذكم من الغرق بشرط أن تعطوني قلوبكم) (٤)

ثانياً - إثارة الخصومات المفتعلة والدائرة بين قادة كثيرمن دول المنطقة العربية، وفئات من مواطنيها باسم السعي إلى تحقيق إصلاحات إسلامية، والتي تنتهي في أغلب الأحيان إلى هياجات عدوانية واتهامات بالمروق والكفر ، وهي ليست في حقيقتها إلا من دخان هذه التدابير . وقد تعوق كثافة الدخان عن رؤية السبل المتخذة لذلك.ولكن اختراق الدخان يسير على من يراقب الأمور ويتبع سلسلة الأحداث .

إن هذا الهياج المتصادم يتم من خلال خطتين متقاطعتين ، تنتهيان إلى غاية واحدة..الأولى منهما تتمثل في استثارة العواطف الإسلامية المتأججة في صدور كثيرمن الشباب ، ثم السعي بهم إلى مزاحمة الحكام على كراسي الحكم ، لفرض الإسلام على الناس من هناك ..والثانية منهما تتمثل في لفت أنظار الحكام إلى الخطرالحقيقي الكامن في تحركات هؤلاء الناس وتطرفاتهم ، بل ربما في لفت أنظارهم في الوقت المناسب إلى صلات خفية ممتدة بين هؤلاء الإسلاميين وقوى أجنبية معادية.

ثالثاً- الثمرة المرجوة من التخطيط لهذا التصادم تحقيق غايتين اثنتين: أولاهما تفويت فرص الاستقرار في المنطقة كلها ما أمكن ، عن طريق شغل القادة والحكام بالعمل على درء هذه الأخطارالداخلية .. والثانية تسليط الجماعات الإسلامية وفئات الحكام بعضهاعلى بعض ، كي يتم تمزيق الطاقات الإسلامية عن طريق التآكل الذاتي، بعيدا عن أي يد أجنبية ظاهرة قد تتهم بالتدخل .

ولاشك أن سلسلة هذه العمليات التي تنفذ باتقان، قد آتت ولا تزال ثمارها المرة هذه . ونظرة سريعة إلى أحداث المناطق الإسلامية القريبة منا والبعيدة، تجسد هذا الواقع كله، بدءا من التدابير الخفية التي لم تعد ،بحمد

الله خفية، وانتهاء بالثمار المرة التي عم فينا جميعا مذاقها .

٥- والآن، وعلى ضوء كل هذا الذي أوضحناه، يحين لنا أن نتساءل : هل للإسلام دور في النظام العالمي الجديد ؟

عندما ننظر إلى الإسلام بحدّ ذاته، بقطع النظر عن المسلمين،فالجواب ماثل في الذهن رأسا ، وهو : نعم ، لا شك أن الإسلام له دور الريادة في قيادة العالم الجديد .

ذلك لأن المناخ العام في المجتمع الغربي،بشطريه الأوروبي والأمريكي، قدتهيأ لتفهم الإسلام وقبوله، كما لم يتهيأ لذلك في أي عهد سابق من قبل ، إن الإنسان الغربي لم يعد يجد إليوم في نفسه شيئا من الثقة التي كان يشعر بها تجاه الحضارة الغربية فضلا عن الاعتزاز الذي كان يتمتع به .

فالمجتمع هناك لايزال متجهاً إلى مزيد من التفكك، والأسرة ماضية إلى الاضمحلال حتى غدت في كثير من المناطق وهما لايجسده إلا هيكل دار قائمة. والنظام الاقتصادي يثبت في كل يوم مزيدا من الأدلة على سوء نتائجه ،وخيبة آمال الناس فيه،والكساد متفاقم ، والبطالة المستشريةتثقل خافق يتعاظم وقعه المخيف على المجتمع كله .. وتتزايد ، تحت وطأة ذلك كله، عوامل القلق النفسي، وتتلاحق الأسئلة الملحة عن أسرار الانفصال العجيب بين السعادة النفسية وأسبابها المادية المتوافرة، وتزداد الأسئلة في غمار ذلك عن أصل هذا الكون .. وقيمة الحياة ..ونهايتها .. وما قد يكون وراءها ، والسبيل الأمثل إلى طمأنينة النفس وراحة الفؤاد(٥) .

وما أن يتاح لك أن تبعث نظرة متأملة إلى تلك المجتمعات التي هذه هي حالها، حتى تلاحظ بوضوح أن السعي اللاهث هناك إلى المتعة وأسبابها ، لم يعد كماكان من قبل،استزادة من مقومات السعادة ورغد العيش،وإنما هو

اليوم ، على الأغلب ،مجرد فرار من وطأة القلق والاضطراب وتسبب لنسيان أو تناسي المجتمع وأوضاعه السائده التي تظل سائرة بشكل متناقض مع فطرة الإنسان وحاجاته الأصلية .

هذا هو المناخ العام الذي يسود المجتمع الغربي ، ولا شك أنه تعبير فطري صريح وقاطع عن حاجته الماسة، بل الحتمية ، إلى الإسلام .

ذلك لأنه ليس ثمة من علاج لسلسلة هذه المشكلات كلها إلا الإسلام، متمثلا في عقائده القائمة على المنطق والعلم والمنفعة مع الفطرة الإنسانية ، ثم في عباداته التي تبقي على حيوية تلك العقائد ، وتمنحها من القوة والفاعلية ما تهيمن به على سلوك الإنسان، ثم في أخلاقه وأحكامه السلوكية التي تضمن للمجتمع تماسكه، وتحصن الأسرة وتحيطها بإطار من الحماية والقداسة.

غير أن الإسلام لا يتحقق إلا بمسلمين ،فهموا مظهره المتجسد، وهم الحماة له ،وهم الأدلاء عليه ، وهم المعرفون على ضرورته ووجه الحاجة إليه، لا سيما عند ما يتكاثر الأعداء والخصوم المتربصون به، والذين يرون في المناخ الذي ذكرناه ما يجسد خطورة الإسلام عليهم ، بدلا من أن يبصروا فيه الدواء الشافي لهم . فأين هم هؤلاء المسلمون ؟

إن المسلمين اليوم ، على كثرتهم ، لا قبل لهم برصد المخططات التي تتخذ ضدهم ، ثم تنفذ تباعا في حقهم، فضلا عن أن يواجهوها بخطط وتدابير مقابلة .. فضلا عن أن يضعوا تدابيرهم هذه موضع التنفيذ !.

والمسلمون اليوم منهمكون فيما قد زجهم قادة الاستعمار الغربي فيه ، انهم منهمكون في خصوماتهم ، منصرفون إلى قضايا هم ومصالحهم الجزئية المتناقضة، وقد أعرضوا عن جذور مصالحهم الواحدة والموحدة .

والإسلام الذي يتعامل معه كثيرمن قادة الشعوب العربية والإسلامية

إسلام أطرومظاهر وشعارات ، وتشه لمنجزاته الحضارية.. أما حقائقه وجذوره التي لا يمكن أن تستنبت وتزدهر إلا في تربة الاصطباغ الحقيقي بعبودية الإنسان لله ، فبعيدة عن الأذهان، مقصية عن الواقع التطبيقي المبرمج .

وأهم من هذا كله،أو أساس هذا كله ،أن أصابع القيادات الغربية هي التي ترسم أطر العلاقات التعاونية وحدودها ،بين كثير من دول المنطقة وحكامها ، سواء على المستوى الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي العام . وأوضح ان رسم ذلك كله إنمايتم طبقاً لمصلحة الغرب ،وطبقاً لما تقتضيه خطة الهيمنة على قيم هذه المنطقة وثرواتها ،وطبقاتها لما تقتضيه مقاومة سعي القائمين عليها ،إلى تحقيق أيّ تضامن أو تعاون حقيقي فيما بينهم .

وعلى سبيل المثال،أن مقومات التكامل الاقتصادي بين الدول العربية، متوافرة على نحو لاتكاد القوى البشرية المخططة تملك القدرة على توفير مثلها. ولكن التدابير الأجنبية المفروضة عليها بطريقة ما ، تمنعها من أي إقبال إليها أو استفادة منها ، فضلا عن أن تجني شيئا من ثمارها. ولعل واقع السودان الشقيق وعلاقته المأساوية بكثير من جيرانه وأشقائه العرب المسلمين واحد من الأمثلة الواقعية على مانقول .

إن كثيرا من الناس يتحدثون اليوم عما يسمونه التحديات التي تواجه الإسلام، من حيث هو طاقة إصلاحية فريدة، ويعد دونها في المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والتربوية المختلفة.

غير أنني أقول : أن التحدي الحقيقي لايكمن في شئ من ذلك كله ، وإنما هو يكمن بل يتجلي في هذا الذي أقول ،أنه يكمن في التدابيرلإقصاء المسلمين عن إسلامهم ثم لتقطيع جسور التواصل الممتدة فيما بينهم .

أجل ، فإن التحدي الذي يواجهه الإسلام من خلال المسلمين المتنائرين

في أوطانهم المترامية اليوم ، إنمايتمثل في تلك القوي الأجنبية التي تمنع الأشقاء من أن يمدوا أيدي التعاون بعضهم إلى بعض ، ومن أن يعملواعلى نسج وحدة اقتصادية أو سياسية أو فكرية عامة فيما بينهم ، قد تهم الإسلام بأسسها ومقوماتها ، وأمرهم الله ، كما أمر الناس عامة ، أن يضعوها من حياتهم موضع التنفيذ .

فهذا لا غيره هو التحدي الخطير المعلن الذي يردده المسؤولون الأمريكيون أولا ، ثم كثير من المسؤولين الأوربيين ثانيا ، في كل مناسبة وبشتى الأساليب .

ذكر طبيب أمريكي ، في مقال نشرته مجلة ليفيغارو LE FIGARO الفرنسية عن الإسلام في أمريكا ما نصه: إن الإسلام دين تسامح ،وأن الحكومة الأمريكية تحارب الإسلام في كل مكان في العالم، لأنها الديانة التي تقنع الفرد بسرعة، كماتحارب توجه المسلمين نحو أي اتحاد فيما بينهم ، لأنه إذا اتحد المسلمون فلن تكون هناك ولايات متحدة أمريكية في العالم (٦).

والمفروض أنها تحديات مخفقة، لا تملك أكثر من التعبير عن أحقاد أصحابها، غير أن هذه التحديات الخائبة واجهت، ويالأسف ،نفوسا تأسرها عوامل الرغبة والرهبة تستمرئ المغانم وتفر من المغارم،قد هانت على نفسها بمقدار ما تعاظمت ملاذ الدنيا وشهواتها في أعينها . فكان أن سبق أصحاب هذه النفوس من نقطة الضعف هذه ، ثم كان أن نجحت التحديات التي أشرنا إليها وفعلت فعلها المميت في حياة هذه الأمة التي كانت يوما ما أمة واحدة هي خير أمة أخرجت للناس، فتدابر الأخوة بنعدم أن كانوامجموعة جهود متضافرة ومنع كل منهم رفده عن صاحبه وامتنع عن مقايضته ، بمثله، ليعود به إلى العدو المشترك أو ليتقبله منه لا من أخيه ! ألم يقل لهم هذا العدو من قبل: "أعطوني

قلوبكم ، وسأنقذكم من الغرق" (٧)

ونتأمل في هذا الواقع، وإذا هو في جملته وتفصيله ينطبق انطباقاً دقيقاً على الرؤية النبوية الشريفة لما سينتهي إليه حالنا ، وراء حواجز الدهور والقرون ، تلك الرؤية التي عبّر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث المتفق عليه :" أبشروا وأمّلوا ما يسركم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم . "

أجل، إن هذه الأسطر الثلاثة ليست إلا تلخيصا مكثفا لقصة هذه الأمة العربية والإسلامية التي نشهد اليوم أخرى فصولها.

٦- غير أن هناك عدة نقاط مضيئة ، ينبغي التنبه إليها والوقوف عندها قبل أن تستخلص من هذه الوقائع والأحداث أي جواب سلبي على سؤالنا المطروح والذي جعلنا منه عنوانا لهذا البحث :

أولا : إن ما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذي تتداوله ألسنة الناس وأقلامهم، على سبيل التنبؤآنا، وعلى سبيل الدعاية والإعلام آنا آخر، هو أبعد ما يكون عن أن يعدّ في واقع الأمر وحقيقته نظاماًعالمياً، أي معداً للعالم كله .

إن نظاماً عالمياً ينهمك في إعداده ووضعه ١١٪ من سكان هذا العالم هو بحق نظام عنصري استغلالي مميت .. ومهما قيل عن القدرات التي مكنت أمريكا من القضاء على خصمها اللدود ، من خلال حرب استنزاف باردة زجّته بين براثن الإفلاس، فإن ذلك لن يعطيها أي امتياز بأن تنطق باسم العالم وتتولى عنه وضع النظام الذي يروق له ، فضلا عن أن يعطيها أي مبرر شرعي للتحكم بقدرات الأسرة الإنسانية وخيراتها وحريتها . . والديمقراطية إنما يستبين معناها الصادق أو الوهمي من خلال هوية هذا النظام ، لا من خلال العلاقة

السارية بين الكونغرس والبيت الأبيض حصرا.

لذا ، فإنه لا يتوقع قط ولادة هذا النظام على يد هذه النسبة الضئيلة من سكان العالم ، أللهم إلا أن تكون ولادة ميتة لا تعقبها حياة . والتوازن الذي انهار سريعاً لحساب أمريكا بين المعسكرين الشرقي والغربي ، سيعود وإن لم يكن سريعاً ، بمقومات أكثر أهمية ورسوخاً . وليس المهم أن يكون التوازن دائما بين شرق وغرب ، إنما المهم أن سنة الله في خليقته هذه نافذة ولن يقع فيها أي تبديل . وقد عبر عنها البيان الإلهي بقوله عزوجل :"ولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين ."

ثانيا : إن الوحدة الأروبية غدت حقيقة ماثلة في الذهن ، وإن لم تكن قد ولدت بعد على صعيد الواقع . . إن أعلامها ذات النجوم المتضامنة في استدارة كاملة ، تخفق في كل شارع وساحة من ربوع أروبا وأصقاعها.

وعندما يرتسم المحور الأروبي إلى جانب المحور الأمريكي ،فسوف ينبثق من ذلك وضع جديد ،قد يكون غاية في التعقيد، ولكن الأهم من هذا أنه وضع يبعث على رفض تبعية العالم كله لهذين المحورين،سواء عن طريق اتباعه لهما، أو انشطاره بينهما .

أجل ..فإنه لا الظروف والمصالح الاقتصادية المختلفة، ولاالثقافات الإنسانية المتنوعة، ولا الموازين أوالقيم الحضارية المتعددة ، تسمح لأصحابها بأي شكل من أشكال التضافر والاتحاد ، في سبيل أن يجتمعوا فيتلاقوا مستسلمين، سعيا على طريق هذا الاتباع .

وهذا يعني أنه لا بد ان يتحقق عندئذ المناخ الملائم لظهور محاورحضارية وانسانية أخرى ، هي اليوم موجودة ، ولكن لعلها تمر برحم التكامل والنضوج، أو لعلها تتخير لولادتها الظرف الملائم .

إن تعدد المحاور التي لا بدّ أن يتوالى ظهورها وينتامى رسوخها في تربة التوازن العالمي الذي لا مفرّمنه ، هو الضمانة الوحيدة لظهور معنى الندية المتوازية أو المتكافئة فيمابينها . ومن ثم فهو الضمانة لقيام ديمقراطية عالمية إن جاز التعبير، تؤدي بالضرورة إلى تعارف أفضل بين الحضارات والثقافات المتنوعة ، حيث لابدّ يؤدي ذلك خيرا إلى ما نسميه بحوار الحضارات .

وعند ما تكون حقيقة الندية المتكافئة هي السائدة في جوالحوار، بدلا مما هو سائد الآن من واقع التبعية الخفية أو الظاهرة والمفروضة بشكل ما، فلا بدّ أن يصبح الحوار حينئذ حقيقياً ومثمراً .

وفي هذا الجوّسيتجلىّ دورالإسلام قويا وراسخاً.

إن الإسلام الذي هو جذور اعتقادية راسخة، وبنيان حضاري باسق ، لم يفرض نفسه ذات يوم إلامن خلال الحوار. الحوارالذي يطابق ظاهره باطنه، ويتجه إلى العقول صافياً عن شوائب الأسبقيات أو الذرائع أو التحكم أو الاستغلال .

لقدكان ولايزال سبيل انتشاره اتباع المنهج الرباني القائل :" ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ".

إن تحكم ١١٪بـ٨٩٪ من سكان العالم سيختفي !.

ولكنه لن يختفي تحت سلطان قهر الأغلبية أو بقوة السلاح أو في أعقاب حروب مدمرة . بل سيختفي تحت سلطان قوة أخرى ، هي أمضى وأشدّ فاعلية من ذلك كله .. إنها قوة الحوار الذي لابدّ أن يفرض ذاته من خلال السنة الربانية التي لا يقع فيها أي خلف أوتبديل .. سنة التوازن الذى لا يكاد يختفي بمظهره المتقادم حتى يعود فيتجلى بمظهرمتطورجديد .

إن كل السبل التي تتخذ إليوم من قبل القوى المتحكمة الكبرى ، للتربص بالإسلام والكيد له ، إنما هي سبل قهرية، بل حرب مقنّعة آنا ومكشوفة

آنا آخر.. ومثل هذه السبل قد تكف اليد عن البطش،بل حتى اللسان عن الكلام، ولكنها لاتكف الفكر عن التأمل ولا العقل عن البحث .. والقوة الكامنة في الإسلام هي تلك التي تسري منه إلى العقول والألباب، لا التي يخيل إلى البعض أنها تقهر النفوس أو تلاحق الحريات .

وإذا كان القضاء على الباطل الذي هو باطل ، لا يمكن أن يتم عن طريق خنقه، كمايتوهم عشاق العنف ودعاته، فإن القضاء على الحق لا يمكن ، من باب أولى ، أن يتم عن طريق السعي إلى خنقه .

إن بين الحق والباطل تناقضاً لا يجهله أحد ، ومن ثم فإن الرصاصة التي يتم إزهاق الباطل بها إنما هي الصدع بكلمة الحق مستنيرة بضياء العلم والمعرفة ليس إلا ، ومهما حاولت استعمال الوسائل القهرية الأخرى فلن تأتي جهودك بأي طائل . ومن ثم فإن انبلاج الحق هو وحده الذي يؤذن بزوال الباطل .

وانظر إلى هذه الحقيقة الكونية الكبرى ، كم هي واضحة إلى درجة التألق في قول الله عز وجل " بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولكم الويل مماتصفون ".

والجهاد الذي شرعه الله وجعله دعامة الوجود الإسلامي لا يتعارض مع شئ مانقول . ذلك لأن مواجهة الباطل بمنطق الحق عن طريق البيان والحوار،مع الصبر في سبيل ذلك على كل مكروه،أول أنواع الجهاد وأقدسها .. ولأن القتال الذي يشرع بعد ذلك،ليس من أجل اغتيال الباطل في مظهررجاله المتشبثين به أو المدافعين عنه وإنما هومشروع لردّ غائلة الذين يقاومون مبدأ مواجهة الباطل بنطق الحق .. فالقتال الجهادي في هذه الحالة إنما هو لحماية الحوار، ولابعاد شبح الجبر والإكراه أيا كان الجانب الذي يقدم منه.. على أن هذا القتال لا يشرع إلا فوق أرض يستوطنها المسلمون وفي ظل دولة ترعى سير هذا القتال وتقدّر نتائجه

وتشرف على تنفيذه .

ثالثا- مهما قلنا عن أعراض المسلمين التقليديين عن النهوض بواجب الصدع بكلمة الحق هذه، ومهما كانت الأخطاء المتسربة إلى المجتمعات الإسلامية كبيرة ، سواء منها المتمثلة في التصورات الخاطئة، أو في السلوكات الجانحة ومهما كانت تعليقات القوى المعادية وتقاريرهاتتسم بالشماتة والطمأنينة التامة إلا أن الطاقات الإسلامية التي كانت توصف يوما ما بأنها خارقة ، قد تمزقت اليوم بأيدي أصحابها (٨) فإن واقع الأمر يخالف ذلك مخالفة حادة .

ذلك لأن الحق الكامن في طوايا الإسلام لا يتم القضاء عليه بتقاعس أهله بتخليهم عن رعايته والاهتمام بشأنه أو بأخطاء اجتهادية صادرة منهم، أو حتى - مع أسوأ الافتراضات - بسبب بيعهم لدينهم الإسلامي الحق بعرض من الدنيا قليل .

إن الذي يتصور هذا أو شيئاً منه، ربما كان ممن يتخيل أن المسلمين ، فيما مضى ، هم الذين أوجدوا الإسلام ووضعوا فيه مزاياه وسماته، مع أن الواقع نقيض ذلك تماماً فالإسلام الذي هو وحي الله المتضمن جملة وصاياه وتعليماته، هو الذي أوجد المسلمين ووضع فيهم مزاياهم وصفاتهم التي اختصوا بها من دون سائر الناس.

وعندما ينفضّ هؤلاء المسلمون عن إسلامهم الذي صاغهم هذه الصياغة ، ويخلعون كسوة المزايا والصفات التي ميزهم الله بها بفضل دينه، فإن قدرة الإسلام على صنع الأمم والرجال هي هي ، لأن الإسلام هو هو ، وكما لم يعجز بالأمس عن اصطفاء حفنة من سكان الصحراء لقيادة عالم بأسره وإنشاء حضارة إنسانية كاملة، فلن يعجزه شئ اليوم عن اطفاء فئة أخرى من الناس، أيا كانوا وأينماكانوا ، فذلك شأنه ، وتلك هي وظيفته. ألم يقل في بيان ذلك صاحب هذا

الدين وقيومه :" وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم " .

ومرة أخرى أقول مؤكدا : إن كل ما نراه من مظاهر إهمال المسلمين لإسلامهم ، أو من مظاهر انحرافاتهم وأخطائهم ، مضافاً إليه الكيد المتواصل له من أعدائه وأعدائهم ، مع أضعاف ذلك كله لو أضيف إليه ، لايقضى على الحق الذاتي الكامن في طوايا هذا الدين.ذلك لأن الحق، بحد ذاته لا يعيش في باطن الأرض بل على ظاهرها ، ولا يحبس في أقفاص أو وراء قضبان بل يمتدّ وينتشر داخل الأدمغة والرؤوس.

رابعا - وبناء على ما أوضحنا ، ليس مهما أن يصحو أو لا يصحو المسلمون التقليديون عندنا إلى هوياتهم الإسلامية ، إنما المهم أن لا ننسى أن الحق الكامن في تضاعيف الإسلام كالشمس تماماً قد تغرب أشعتها عن رقعة من الأرض ، غير أنها في الوقت ذاته تبعث الأشعة ذاتها مشرقة في بقاع أخرى من الأرض ذاتها . وإنها لسنة ربانية لا يلحقها أي خلف.أو لم تقرؤوا قوله عز وجل :"

" ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم،ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ".

وأن المصداق الدقيق لهذاالكلام الرباني ، يتمثل فيما تراه من واقع الحرب المعلنة على الإسلام اليوم على ألسنة أكثر قادة الغرب وحكامه !.

إن هذه الحرب المعلنة، ومايتبعها من التقارير التي تتعقب واقع المسلمين بالحرب الكلامية هنا وهناك ، هي ذاتها التي تلفت نظر الشعوب الغربية إلى الإسلام ،وتبعث فيها الاهتمام به والرغبة في الإقبال على معرفته ودراسة حقيقته !... وعلى الرغم من أن هذه افلظاهرة نتيجة طبيعية لمقارعة الحق

ومحاولة القضاء عليه ، فإن القوى الغربية المعادية للإسلام لا تدرك هذه النتيجة ، ومن ثم فهي لا تحسب لها أي حساب !.

كنت أتحدث في مدينة " ستراسبورغ " في فرنسا ، عن المكائد الكثيرة التي ترصد لمحاربة الإسلام هنا وهناك - وكان ذلك في أواخر عام ١٩٩٠- فأقبل إلى شاب فرنسي مسلم، وكلمني بعربية لا تخلو من رطانة ولكنة فقال : أين أنت من صادق وعد الله عز وجل ؟ ألم يقل : " يأيها الذين آمنوا من يرتدّمنكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ..." الآية.

إن مأساة إعراض كثير من المسلمين عن إسلامهم ، وتفرقهم بين متاهات الشهوات والأهواء ، لا تشكل خسارة تحيق بالإسلام،وانما هي خسارة كبرى تحيق بهم أنفسهم . فالحصن الذي يتخلى عنه أصحابه يظل حصناً في واقعه وطبيعته وأداء مهمته ، ولا بدّ أن يأوي إليه آخرون . وإنما تحدق الأخطار بأولئك الذين تخلوا عنه وآثروا لأنفسهم الانتشار في العراء .

وربما قيل الكثير عن تسبب سوء حال المسلمين التقليديين اليوم ، في تعكير الرؤيا الصافية إلى حقيقة الإسلام ،أمام أبصار الشعوب الغربية التي تتطلع ، في ظمأ كبير، إلى معرفة الإسلام.ولاشك أنه قول يؤيده منطق الأحداث وطبيعة النفوس .

غير أن قوة الإسلام تكمن في الحق النابع من ذاته ، بقطع النظر عن حال المتلبسين أو المتجملين ، ودلائل هذا الحق وتراه براهينه معروضة أمام سائر البصائر والأبصار. وما أيسر لمن أراد أن يتعرف على هذا الحق ودلائله من مصدره الذاتي،أن يدرك لدى النظرة الأولى أن واقع المسلمين في منطقة كالخليج مثلا لا يكاد يعبر عن شئ من هذا الحق ،مهما كانت أصوات الآذان فيها مجلجلة ومهما كانت الأحاديث فيها عن الإسلام منمقة، ومهما كانت تلاوة

القرآن فيها مجودة !.

ثم من يدري ! لعل المخطط الرباني الذي لا ترصده أعين الناس ، ولا تتبينّه مدارك كثير منهم، يقضي بأن يعود الإسلام فيشرق من مغرب هذا العالم، أي من حيث تتجه السهام متلاحقة بالحرب إليه والكيد له !. ولقد سبق أن اختار الله لتربية كليمه موسى أحضان عدوّه فرعون .

وصدق الله القائل :" سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق.."

* * * * *

المصادر

(١) انظر التقرير المطول الذي كتبه المستشرق الانكليزي H.A.R.GIPP تحت عنوان : Whither Islamأين يتجه الإسلام .طبعة لندن عام ١٩٣٢م .

(٢) .كتب رياض الريس مقالا في مجلة المستقبل العدد ١٢٧ الصادر في تموز لعام ١٩٧٩، بعنوان (الخليج العربي ، عودة الاستعمار) ذكر فيه أن دبلوماسياً سابقاً أطلعه على خطة استعمارية جديدة تهدف إلى الاستيلاء على ينابيع البترول في الخليج ، وأن الاتحاد السوفياتي لن يعارض.

(٣) اقرأ فصل "ايران غيت " من كتاب (زمراد الموساد) تأليف : يوسي ميلمان ودان رافيف.

(٤) أنظر: حوارات مع مسلمين أوروبيين ، للدكتور عبد الله أحمد الأهدل. ص ١٣ ط دار القلم.

(٥) أنظر "حوارات مع مسلمين أوروبيين " ص ١٥و٤و٧)

(٦) من مقال بعنوان : الديانة الإسلامية في أمريكا نشرته مجلة ليفيغارو الفرنسية في عددها الصادر في ١٣ حزيران عام ١٩٩٣م)

(٧) انظر : حوارات مع مسلمين اروبين ، للدكتور عبد الله أحمد الأهدل، ص١٣ط دارالقلم.

(٨) كتبت مجلة EVENEMENT DE JEUDI .Lالفرنسية في عددها ٣٨٠ الصادر بتاريخ ١٣فبراير عام ١٩٩٢م تقريراً وافياً عن مصير الإسلام والنشاطات الإسلامية في كل من تونس والجزائر والمغرب ومصروسورية والسودان وتركيا والأردن . وينتهي التقرير إلى الابتهاج بأن القوى الإسلامية قد تم القضاء عليها، ولم يعد فيها ما يخيف !

Committed to Serious Research and Scholarship

The American Journal of ISLAMIC SOCIAL SCIENCES

Subscription requests may be sent to the following distribution agencies. For information on special rates in lieu of exchange rates please contact the designated agencies below. (Payment may be made in local currency). Effective 1/1/90, AJISS will be published in March, September, and December. Subscriptions run for one calendar year.

AJISS (USA & Canada)
P.O. Box 669
Herndon, VA 22070, USA

Distributors:

Bangladesh
Dr. Syed Abdullah M. Taher
House No. 12, Rd. No. 4A (New)
Dhanmondi R/A, Dhaka

Egypt
IIIT Office
26-A Al-Gazira Al-Wosta Street
Zamalek, Cairo

India
Institute of Objective Studies
Post Box No. 9725
Muradi Road, Batala House
Jamia Nagar, New Delhi 110025

Jordan
Dr. Fathi Malkawi
Dept. of Education
Yarmuk University, Irbid

Kuwait
Scientific Research House
P.O. Box 2857, Safat 13029

Malaysia
Anwar Al Tahir
3402 Jalan Ampang, Hilri 2
Kuala Lumpur 55000

Morocco
Mohamad Al-Makki Al-Warzazi
P.O. Box 407
Abdullah Bin Yasin Street No. 1, Tetouan

Pakistan
IIIT Office
28, Main Road
F-10/2 Sector, Islamabad

Qatar
Ansar Obaid Hassana
P.O. Box 893, Doha

Saudi Arabia
International House
for Islamic Books
P.O. Box 55505, Riyadh 11534

Sudan
Abdalla Makki Sadiq
IIIT Office
P.O. Box 4375, Khartoum

Trinidad
Islamic Missionaries Guild
P.O. Box 900, Port of Spain

Turkey
Shamil Shaheen
P.K. 122, Uskudar
Istanbul

United Kingdom
Muslim Information Services
233 Seven Sisters Rd.
London N4 2DA

The American Journal of Islamic Social Sciences (AJISS) is published by the Association of Muslim Social Scientists (AMSS) and the International Institute of Islamic Thought (IIIT). The Journal wishes to serve as a bridge between Muslim intellectuals and scholars all over the world to effect the development of a scientific approach in the fields of Islamic social sciences and human studies.

Country	Institutions	Individuals	Students
USA/Canada	$45	$30	$30
Bangladesh	Rs 375	Rs 225	Rs 100
Carribean	$45 (T.T.)	$30 (T.T.)	$25 (T.T.)
Egypt	E £ 35	E £ 20	E £ 15
India	Rs 275	Rs 225	Rs 100
Jordon	D 8	D 5	D 4.5
Morocco	DR 180	DR 120	DR 100
Pakistan	Rs 275	Rs 225	Rs 100
Malaysia	M $45	M $24	M $15
Saudi Arabia	SR 180	SR 120	SR 100
Sudan	S £ 55	S £ 30	S £ 25
Turkey	TI 18000	TI 9000	TI 6000
U.K.	£ 45	£ 30	£ 25

Name _____

Profession _____

Address _____

_____

City Country _____ Zip _____

Enclosed is my check for a ____ year subscription in the amount of _____

مشاركة
اللغة الفارسية في الحضارة الإسلامية

للدكتور مهدي محقق

قبل أن نبدأ كلامنا بذكرأهم الآثار والكتب التي كتبها الإيرانيون باللغة الفارسية، يجب أن نشير إلى أن عنوان هذا البحث أعني :" مشاركة اللغة الفارسية " لا يفي بالمطلوب ، ولو بدلنا العنوان إلى :" مشاركة الإيرانيين" لكان أحسن، لأن الإيرانيين بعد أن تشرفوا بمذهب الإسلام كتب أكثر علمائهم آثارهم باللغة العربية في كل موضوع، ويكفينا أن نشير إلى عدد من هؤلاء العلماء: " محمد ابن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ،من طبرستان في شمال إيران ،شمس الأئمة السرخسي صاحب الموسوعة الفقهية المبسوط من سرخس في شرق ايران ، محمد بن زكريا الرازي صاحب الموسوعة الطبية الحاوي من الري القريبة من مدينة طهران ، الامام محمد الغزالي صاحب احياء علوم الدين من طوس المدينة القريبة من مشهد الرضوي في شرق ايران. ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب الأنساب للسمعاني حيث يرى آلافا من علماء الإسلام من مدن ايران، نحو تبريز وقزوين وسمنان ودامغان ونيشابور وجوين اسفرايين وسرخس وبيهق وأبيورد وكرمان وسجستان وهمدان وأصفهان وشيراز، إلى غير ذلك .

ويؤيد هذا المطلب أن بعض العلماء المعاصرين ما يزالون حتى الآن يكتبون آثارهم باللغة العربية، نحو آية الله السيد أبو القاسم الخوئي صاحب معجم رجال الحديث وطبقات الرواة في ثلاثة وعشرين مجلدا . وآية الله السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب الميزان في تفسير القرآن في عشرين مجلدا ، والشيخ آقا بزرك الطهراني صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة في خمسة وعشرين مجلدا ، وآية الله السيد حسن البجنوردي صاحب القواعد الفقهية في سبعة مجلدات ، وكتب زعيم الثورة الايرانية آية الله السيد روح الله الخميني ، رضوان الله تعالى عليه . كتاب البيع في خمسة مجلدات . وأصول الفقه في مجلدين، وتعليقه على فصوص الحكم لمحي الدين ابن العربي ، وكتبه الأخرى باللغة العربية،على أن كثيرا منهم يكتبون آثارهم الآن باللغتين العربية والفارسية .

وبعد هذه المقدمة نرجع إلى عنوان البحث، ونشير إلى أن اللغة الفارسية تعتبر من أهم اللغات ولها سوابق تاريخية وقواعد أصولية وضوابط محكمة ، ولهذا بقيت على حالها رغم نفوذ اللغة العربية والتركية على مدى العصور التاريخية، ونستشهد لهذه السوابق بكلام أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ حين يقول :

"وقد علمنا أن أخطب الناس الفرس ، وأخطب الفرس أهل فارس ، واعذبهم كلاما وأسهلهم مخرجا وأحسنهم دلاً وأشدهم فيه تحكما أهل مرو.ومن أحب أن يبلغ في صناعة البلاغة ويعرف الغريب ويتبحر في اللغة فليقرأ "كتاب كاروند" ، ومن احتاج إلى العقل والأدب والعلم بالمراتب والعبر والمثلات والالفاظ الكريمة والمعاني الشريفة فلينظر في سير الملوك،فهذه الفرس ورسائلها وخطبها وألفاظها ومعانيها"(١) ويشير المسعودي أيضا إلى السوابق التاريخية

للفرس بالعبارا ت التالية :

" وكانت الفرس أحق أن يؤخذ عنها وان كانت أخبارهم قد درست ومناقبهم قد نسيت ورسومهم قد انقطعت لمر الزمان وتتابع الحدثان فلا نذكرمنها الا اليسير .... ورأيت بمدينة اصطخر من أرض فارس في سنة ٣٠٣ عند بعض أهل البيوتات المشرفة من الفرس كتابا عظيما ، يشتمل على علوم كثيرة من علومهم وأخبارملوكهم وأبنيتهم وسياستهم . . . ، وكان تاريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد في خزائن ملوك فارس للنصف من جمادى الاخرة سنة ١١٣،ونقل لهشام بن عبد الملك بن مروان من الفارسية إلى العربية " (٢) وتؤيد هذه السوابق بقول لأبي عبادة البحترى في آخر القصيدة التي يصف فيها ايوان كسرى :

عمّرت للسرور دهراً فصارت ... للتعزّي رباعهم والتأسي
فلها أن أعينها بدموعٍ ... مُوقَفاتٍ على الصبابةِ حُبسِ
ذاك عندى وليست الدار داري ... باقتراب منها ،ولا الجنس جنسي
غير نعمي لاهلها عند أهلي ... غرَسوا من زكائها خيرَ غرس
ايّدوا ملكنا وشدّوا قواه ... بكماةٍ تحت السّنُور حمسِ
وأعانوا على كتائب اريا ... طعطعنٍ على النحور ودعس
وأراني من بعدأكلفُ بالأسْ ... راف طُرّاً من كل سِنخٍ وأسّ (٣)

وقد أشار علماء الإسلام إلى أثر اللغة الفارسية في اللغة العربية من جهات مختلفة ،نكتفي بذكر بعضها،يقول أبوهلال العسكري :" ومن عرف ترتيب المعاني واستعمال الالفاظ على وجوهها بلغة من اللغات . ثم انتقل إلى لغة اخرى،تهيأله فيها من صنعة الكلام مثل ماتهيأ له في الأولى ألا ترى أن عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان

الفارسي فحولها إلى اللسان العربي ، فلا يكمل لصناعة الكلام الا من يكمل لاصابة المعنى وتصحيح اللفظ والمعرفة بوجوه الإستعمال "(٤)

ويقول أبو بكر محمد بن يحي الصولي :" ناظر فارسي عربيا بين يدي يحى البرمكي فقال الفارسي : (ما احتجنا اليكم قط في عمل ولا تسمية ولقد ملكتم فما استغنيتم عنا في أعمالكم ولا لغتكم. حتى ان طبيخكم وأشربتكم ودواوينكم وما فيها على ما سمينا ما غير تموه . كالاسفيداج والسكباج والدوغباج وأمثاله كثيرة . وكالسكنجبين والخلنجبين والجلاب وأمثالها كثيرة . وكالروزنامج والاسكدار والفراونك وان كان روميا ومثله كثير) فسكت عنه العربي ، فقال له يحي بن خالد : قل له : (اصبرلنا نملك كما ملكتم ألف سنة بعد ألف سنة كانت قبلها لا نحتاج اليكم ولا إلى شئ كان لكم)" (٥)

يقول أحمد بن طاهر المعروف بابن طيفور ناقلا عن يحي بن الحسن : " اني كنت بالرقة بين يدي محمد بن طاهر بن الحسين على بركة اذ دعوت بغلام لي فكلمته بالفارسية فدخل العتابي وكان حاضرا في كلامنا فتكلم معي بالفارسية .فقلت له " أبا عمرو مالك وهذه الرطانة؟ قال فقال لي : قدمت بلدكم هذه ثلاث قدمات وكتبت كتب العجم التي في الخزانة بمرو وكانت الكتب سقطت إلى ما هناك مع يزد جرد فهي قائمة إلى الساعة فقال : كتبت منها حاجتي ثم قدمت نيسابور وجزتها بعشر فراسخ إلى قرية يقال لها ذودر فذكرت كتابا لم اقض حاجتي منه فرجعت إلى مرو فاقمت أشهرا. قال : قلت: ابا عمرو : لم كتبت كتب العجم ؟ فقال لي : وهل المعاني الا في كتب العجم والبلاغة ،اللغة لنا والمعاني لهم . ثم كان يذاكرني ويحدثني بالفارسية كثيرا" (٦)

ولاجل أسس اللغة الفارسية القويمة وسوابقها التاريخية فهي مازالت حية

رغم أن العلماء الايرانيين كانوا يبذلون جهدا تاما لتعلم اللغة العربية التي كانت لغة القرآن وكانت حياة اللغة الفارسية مستمرة بحيث أن بعض القصاص والمذكرين كانوا يلقون محاضراتهم باللسانين العربي والفارسي. نستشهد أيضا بقول الجاحظ حيث يقول :" ومن القصّاص موسي بن سيّار الأسواري وكان من أعاجيب الدنيا كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية وكان يجلس في مجلسه المشهوربه فتقعد العرب من يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم يحوّل وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية فلا يدري بأي لسان هو أبين واللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منها الضيم على صاحبتها الا ما ذكرنا من لسان موسى بن سيّار الاسواري" (٧)

وكذا بعض الشعراء كانوا ينظمون المعنى الواحد في العربية والفارسية معا ،كما كان يفعل أبو جعفر الامدادي الذي كان ينظم قصائده بالعربية ثم يقلبها إلى الفارسية بوزنها وقافيتها مثال ذلك :

عذيري مـــن قدّك الخيزراني ومن وردتـي خدّك الأرجواني

فغان زان دوزخ چون گل ارغواني وزان بـرشده قامـت خيزراني

ومثله أيضا :

الّما ببدر الدجى فانظرا إلى صورة صوّرت للورى

يكي برمه چارده بكذرا بروي نگارين أو بنكـرا (٨)

وبعضهم كانوايترجمون الأبيات الفارسية إلى العربية كمايقول الثعالبي: " ان بديع الزمان الهمداني كان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالأبيات العربية فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع إلى عجائب كثيرة لا تحصى "(٩)

وبعض الشعراء كانوا يدرجون شيئا من اللغة الفارسية في كلامهم لأجل جذب نظر الايرانيين كمايقول الجاحظ أيضا " :" وقد يتملّح الأعرابي بأن يدخل في شعره شيئا من كلام الفارسية كقول العماني للرشيد في قصيدته التي مدحه فيها :

من يلقه من بطلٍ مسرنْدِ في زَغْفَةٍ مُحْكَمةٍ بالسرْدِ
تجول بين رأسه و" الكردِ"

يعني العنق وفيها يقول أيضا " :

لما هوى بين غياض الأسْدِ وصار في كفّ الهزبر الوَرِدِ
آلى يذوق الدهرَ آبِ سَرْدِ

وكقول الآخر :

ودلهني وقْعُ الاسنّة والقنـــا وكافركوباتٍ لـــــها عُجَرقفْدُ
بأيدي رجالٍ ما كلامي كلامهم يسوموننني مَرداً وما أنا والمَرْدُ "(١٠)

ونرجع الآن إلى مـا كنا بصـدده من أن الايرانيين كـتبـوا آلاف الكتب باللغة العربية ومع ذلك ما بقيت اللغة الفارسية منسيّة وفي هذا المقال نحن لانذكر الكتب العربية التي ألفها الإيرانيون لكي نبقي موضوع المقالة على حاله بل نذكر ابتداء اسماء عدة من العلماء الإيرانيين الذين كتبوا بالعربية والفارسية معا ثم نشير إلى بعض الكتب التي ترجمت من العربية إلى الفارسية في العصور الوسطى وفي انتهاء المقال نذكر أهم الكتب التي ألفها الإيرانيون في العلوم المختلفة باللغة الفارسية .

ومن نظر إلى تلك الكتب العلمـيـة بعين العناية ثبت له أن مـا قـاله البيروني من أن " كتاب علم قد نقل إلى الفارسية ذهب رونقه اذ لاتصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية " (١١) كان من أصله باطلا . ولعله

نال تلك الكلمات ليرضى بها بعض أهل زمانه .

ولنبدأ كلامنا بذكر القرآن الكريم ونقله إلى اللغة الفارسية ثم نذكر بعض التفاسيربالغة الفارسية وبهذه المناسبة نذكر أن ترجمة سورة الفاتحة كانت أول ترجمة للقرآن من العربية إلى الفارسية وهذا مبني على ما قاله شمس الأئمة السرخسي بالعبارات التالية :" وجوّز أبو حنيفة قراءة الصلاة بالفارسية واستدل بما روي أن الفرس كتبوا إلى سلمان - رضي الله عنه - ان يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكانوا يقرءون ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتهم بالعربية"(١٢) ونضيف إلى هذا أن النرشخي يقول : إن المسلمين في بخارا في صدر الإسلام كانوا يقرءون القرآن في الصلاة بالفارسية وهو ينقل قول المكبّرين في الركوع والسجود بنفس الألفاظ الفارسية (١٣)

ورغم ان بعض العلماء كأبي حاتم الرازي كان يقول :" ولم يرغب أهل القرآن والكتاب العربي في نقله إلى شئ من اللغات ولا قدر أحد من الأمم أن يترجمه بشئ من الألسنة ولو قدروا عليه لفشا ذلك فيهم وجرت الألسنة به عندهم ولكن تعذر ذلك عليهم لكمال لغة العرب ونقصان ساير اللغات "(١٤) وما مضى زمن طويل على تصنيف التفسير الكبير لمحمد بن جرير الطبري حتى جمع الأمير السّاماني منصور بن نوح في النصف الآخر من القرن الرابع عدّة من علماء ماوراء النهر وأخذ منهم الفتوى بتجويز نقل كلام الله من العربية إلى الفارسية (١٥) ثم اختار أفضل المترجمين وأعلمهم لترجمة تفسير الطبري الذي طبع أخيرا في طهران في سبعة مجلدات وبعد ذلك صنف كثير من العلماء التفاسير العديدة باللغة الفارسية مع بقاء الاساليب المختلفة التي نذكر أهمها في هذا المقال :

١- تفسير كشف الأسرار وعدّة الأبرار لأبي الفضل رشيد الدين الميبدي

تأليف سنة ٥٢٠ تهران ١٣٣١-١٣٣٩ش في عشر مجلدات .

٢- تفسير روح الجنان ، للشيخ ابي الفتوح الرازي من أعاظم علماء القرن السادس، قم ١٤٠٤ق .

٣- تفسير سور آبادي لابي بكر عتيق بن محمد الهروي السور آبادي من علماء القرن الخامس ، نسخة فتوغرافية ، تهران ١٣٥٣ ش .

٤- بخشي ازتفسيري كهن ، (= قسم من تفسير قديم)، تحقيق محمد روش مع مقدمة الاستاذ مجتبى مينوي، تهران ١٣٥١ ش ؛

٥- تفسير نسفي ابو حفص نجم الدين عمرنسفي (٤٦٢ ــ ٥٣٨) من نسخة مكتبة آستان قدس بمدينة مشهد تحقيق دكتر عزيز الله جويني تهران ١٣٥٤ ش .

٦- ترجمة قرآن متحف پارس (=فارس) لمترجم مجهول تحقيق دكتر علي رواقي ، تهران ١٣٥٥ ش .

٧- تفسير قرآن مجيد ، من نسخة مكتبة جامعة كمبريج تحقيق دكتر جلال متيني، تهران ١٣٤٩ ش.

٨- ترجمة قرآن النسخة المؤرخة ٥٥٦ ، تحقيق دكتر محمد جعفر ياحقي ، تهران ١٣٦٤ش .

٩- حدائق الحقائق، معين الدين فراهي هروي، تحقيق دكتر محمد جعفر ياحقي، تهران ، ١٣٦٤ش .

١٠- آيات الاحكام المشهور بالتفسير الشاهي، ابوالفتح الحسيني الجرجاني تحقيق ولي الله اشراقي تهران ١٣٦٢ ش .

وفي مفردات القرآن :

١- وجوه قرآن لأبي الفضل حبيش بن أبراهيم التفليسي تحقيق مهدي

محقق تهران ١٣٤٠ ش .

٢- ترجمان القرآن للعلامة السيد الشريف الجرجاني، رتبه عادل بن عادل الحافظ ، تحقيق محمد دبير سياقي تهران ١٣٣٣ش .

٣- لسان التنزيل من مصنفات القرن الخامس ، تحقيق مهدي محقق ،تهران ١٣٦٦ش .

٤- تراجم الأعاجم لمؤلف مجهول تحقيق مسعود قاسمي تهران١٣٦٦ ش .

٥- الدرر في الترجمان ، محمد بن منصور المتحد المروزي ، تحقيق محمد سرور مولائي تهران ١٣٦١ش .

٦- المستخلص في ترجمان القرآن محمد بن محمدبن نصر البخاري، تحقيق دكتر سيد محمد علوي مقدم، تهران ١٣٦٥ ش .

ونشير -كما وعدنا - إلى بعض الكتب الفارسية لعلماء اشتهرت كتبهم بالعربية :

١- ابن سينا، له بالعربية كتاب الشفاء ، القاهرة ١٩٥٢إلى ١٩٧٧م وبالفارسية دانش نامه، علايي، تهران ١٣٣١ش .

٢- فخر الدين الرازي ، له بالعربية الأربعين في أصول الدين، حيدر آباد ١٣٥٣هـ وله بالفارسية البراهين البهائية في علم الكلام ، تهران ١٣٤١ ش.

٣- أبو يعقوب السجستاني ، له بالعربية الينابيع، تحقيق مصطفى غالب بيروت١٩٦٥م ،وله بالفارسية كشف المحجوب ،تحقيق هانري كربن ، تهران ١٩٤٩م

٤- صدرالدين الشيرازي ،له بالعربية الأسفار الأربعة تهران ١٣٧٩ق وله بالفارسية رسا له سه اصل، تحقيق دكتر سيد حسين نصر، تهران ١٣٤٠ ش .

٥- الغزالي الطوسي ،له بالعربية احياء علوم الدين ، القاهرة مطبعة الاستقامة ،وله بالفارسية نصيحة الملوك ، تحقيق جلال الدين همايي تهران ١٣٦١ ش .

٦ نصير الدين الطوسي، وله بالعربية شرح الاشارات والتنبيهات، تهران ١٣٧٧ق وله بالفارسية أساس الاقتباس في المنطق ، تهران١٣٦١ ش .

٧- عبد الرحمن الجامي، له بالعربية الفوائد الضيائية في شرح الكافية لابن الحاجب ، تحقيق اسامة طه الرفاعي بغداد ١٤هـ وله بالفارسية بهارستان تقليدا من كلستان سعدي، تحقيق دكتر اسماعيل حاكمي تهران ١٣٦٧ ش.

٨- ابوالعباس اللوكري، له بالعربية بيان الحق بضمان الصدق، تحقيق ابراهيم ديباجي، تهران ١٣٦٤، وله بالفارسية شرح قصيده اسرار الحكمة ، تحقيق ابراهيم ديباجي، تهران ١٣٥٢ش .

٩- عبد الرزاق اللاهيجي ، له بالعربية شوارق الإلهام في شرح تجريد الكلام ،تهران طبعة حجر،له بالفارسية گوهر مراد تهران ١٢٧٧ طبعة حجر .

١٠- شهمردان بن أبي الخير، له بالعربية روضة المنجمين ، تهران ١٤٠٩ ق،وله بالفارسية نزهت نامه علايي، تحقيق فرهنگ جهان پور، تهران ١٣٦٣ ش.

١١- حاج ملاهادي سبزواري، له بالعربية شرح غرر الفرائد، تحقيق مهدي محقق، تهران ١٣٦٨ ش.وله بالفارسية اسرار الحكم ، تهران ١٢٨٦ق طبعة حجر

١٢- ميرمحمد باقرالداماد الا ستراباذي ،له بالعربية القبسات ،تحقيق مهدي محقق ،تهران ١٣٦٧ش . وله بالفارسية جذوات ، بمبنى ١٣٠٢ ق طبعة حجر .

ومن الكتب المترجمة من اللغة العربية إلى اللغة الفارسية

في العصور الوسطى :

١- ترجمة شرايع الإسلام في مسائل الحلال والحرام لابي القاسم جعفربن شمس الدين الملقب بالمحقق الحلي ،ترجمة ابو القاسم بن أحمد اليزدي ، تحقيق محمد تقي دانش پژوه، تهران ١٣٤٦ ش.

٢- ترجمة كتاب الملل والنحل لابي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ترجمه مصطفى خالقداد هاشمي،تحقيق محمد رضاجلالي نائيني، تهران ١٣٦٢ش

٣- ترجمة تقويم الصحة لابن بطلان البغدادي ، لمترجم مجهول قريب من زمان المؤلف ، تحقيق دكتر غلام حسين يوسفي، تهران ١٣٥٠ش.

٤- ترجمة الرسالة القشيرية لعبد الكريم بن هوازن القشيري،ترجمه ابو على حسن بن أحمد عثماني، تحقيق بديع الزمان فروزانفر،تهران ١٣٤٠ ش .

٥- ترجمة التحصيل لبهمنيار بن مرزبان تلميذ ابن سينا ، لمترجم مجهول تحقيق عبد الله نوراني ،تهران ١٣٦٢ ش.

٦- ترجمة كتاب الحكمة الخالدة (=جاويدان خرد) ، ترجمة تقي الدين محمد شوشتري،تحقيق دكتر بهروز ثروتيان ، تهران ١٣٥٥ش.

٧- ترجمة كتاب المختصر النافع في فقه الامامية، لمترجم مجهول ، تحقيق محمد تقي دانش پژوه،تهران ١٣٦٢ ش

٨- ترجمة كتاب الصينة لابي ريحان محمد بن أحمد البيروني،ترجمه ابوبكر علي بن عثمان الكاشاني، تحقيق دكتر منوچهر ستوده،تهران ١٣٧٥ش.

٩- ترجمة كتاب المبدأ والمعاد لصدر الدين الشيرازي، (=ملأ صدرا) ، ترجمه أحمد بن محمد الحسيني الاردكاني ، تحقيق عبد الله نوراني،تهران ١٣٦٢ش.

. ١ترجمة كتاب المقامات لابي محمد القاسم بن علي الحريري ،لمترجم مجهول ، تحقيق دكتر علي رواقي ،تهران ١٣٦٥ ش.

١١-ترجمة كتاب نزهة الأرواح ،روضة الأفراح (= تاريخ الحكماء) لشمس الدين محمدبن محمود الشهرزوري .ترجمه مقصود علي تبريزي .تحقيق محمد تقي دانش پژوه ومحمد سرور مولائي، تهران ١٣٦٥ ش.

١٢-ترجمة تاريخ الحكماء لجمال الدين ابي الحسن ابن القفطي، لمترجم مجهول ، تحقيق بهين دارايي ، تهران ١٣٤٧ش .

١٣-ترجمة السيرة النبوية لابن هشام (= سيرت رسول الله) ،ترجمه رفيع الدين اسحق بن محمد همداني، تحقيق دكتر على أصغر مهدوي، تهران ١٣٦١ش.

وختاما نذكر بعض الكتب الفارسية في موضوعات شتى ،

أ-قواميس اللغات من العربية إلى الفارسية :

مقدمةالأدب، جار الله محمد بن عمر الزمخشري ، ليبزيك ١٣٤٣م ؛ تهران ١٣٤٢ ش.

٢- دستور الاخوان ، قاضي خان بدر محمد دهار،تحقيق دكتر سعيد نجفي اسد اللهي ،تهران ١٣٤٩ش.

٣- قانون الأدب ، حبيش بن ابراهيم التفليسي، تحقيق غلام رضا طاهر ، تهران. ١٣٥ش(ثلاث مجلدات) .

٤- المرقاة ، بديع الزمان اديب نطنزي ،تحقيق سيد جعفر سجادي ،تهران ١٣٤٦ ش.

٥- السامي في الأسامي، الميداني النيسابوري ، تحقيق محمد دبير سياقي،تهران ١٣٥٤ ش.

٦-كتاب البلغة ، أديب يعقوب كردي نيشابوري في ٤٣٨ هـ ، تحقيق مجتبى مينوي وفيروز حريرچي،تهران ١٣٥٥ ش.

٧- تاج المصادر ، أبو جعفر أحمد بن علي البيهقي المتوفى ٥٤٤ هـ تحقيق الدكتور هادي عالم زاده. تهران ١٣٦٦ ش.

٨- منتهى الأرب في لغة العرب، عبد الرحيم بن عبد الكريم صفي پورى ،تهران ١٣٧٧ق .

٩- تاج الأسامي (= تهذيب الأسماء) تحقيق علي اوسط ابراهيمي، تهران ١٣٦٧ش.

ب ـ التاريخ

١- أحسن التواريخ ، حسن روملو ، تحقيق عبد الحسين نوابي ، تهران ١٣٤٩ (ذكر المؤلف الوقائع التاريخية خلال السنوات ٨٠٧-٨٩٩هـ).

٢- تاريخ جهانكشاى (٦٢٤-٦٨٢ هـ) علاء الدين عطاملك بن محمد الجويني،تحقيق محمد قزويني، ليدن ١٩٣٧م.

٣- جامع التواريخ ، رشيد الدين فضل الله همداني ، ذكر الوقائع من بدء الخلقة إلى سنة ٧٠٣هـ، تهران ١٣٣٨ ش .

٤- تاريخ گزيده ، حمد الله بن ابي بكر مستوفي قزويني ،تحقيق عبد الحسين نوائي،طهران ١٣٣٩ش (ذكر المؤلف الوقائع التاريخية إلى سنة ٧٤٥هـ)

٥- تاريخ بلعمي،ابو محمد بن محمد البلعمي سنة ٣٤٣هـ تحقيق محمد پروين گنابادي (ترجمة تاريخ الطبري) ، تهران ١٣٤١ ش .

٦- جهانكشائي نادري ، ميرزا مهدي خان استرآبادي ، تحقيق سيد عبدالله انوار ،تهران ١٣٤٠ش.

٧- طبقات ناصري ، (منهاج سراج) جوزجاني ، تحقيق عبد الحي حبيبي تهران ١٣٦٢ ش.

٨- تاريخ بناكتي روضة أولياء الألباب في معرفة التواريخ والانساب، ابو سليمان داود بن تاج الدين البناكتي المتوفي ٧٣٠هـ ،تحقيق الدكتورجعفر شعار ، تهران ١٣٧٨ش.

٩- ذيل جامع التواريخ رشيدي،حافظ ابرو،تحقيق الدكتور خانبابا بيان تهران ١٣٥٠ش، (مشتمل على وقائع السنين ٧٠٣-٧٨١هـ).

١٠- ترجمة تاريخ يميني،ابو الفرج ناصح بن ظفر الجرفادقاني،تحقيق الدكتور جعفر شعار تهران ١٣٤٥ ش .

١١- مختصر سلجوقنامه، ابن بي بي ،تحقيق محمد جواد مشكور،تهران ١٣٥٠ش.

١٢- تاريخ بيهقي ، ابو الفضل محمد بن حسين بيهقي ، تحقيق دكترغني ودكتر فياض ،تهران ١٣٢٤هـ .

١٣- راحة الصدور ، راوندي،تحقيق محمد إقبال ، ليدن ١٩٢١م .

ج - التواريخ المحلية :

١- بدائع الأزمان في وقائع كرمان ، افضل الدين أبو حامد احمد بن حامد كرماني، تحقيق الدكتور مهدي بياني، تهران ١٣٢٤ ش .

٢- فارسنامه ابن البلخي ، تحقيق لسترنج ونيكلسن، لندن ١٩٢١م.

٣- تاريخ طبرستان ورويان ومازندران، سيد ظهير الدين مرعشي. تحقيق برنهارد دارن پطربن زبورك ١٨٥٠م، تهران ١٣٦٣ ش (أوفست).

٤- تاريخ بخارا، ابوبكرمحمد بن جعفر نرشخي٣٤٨/٢٨٦، ترجمه ، ابونصر احمد بن محمدبن نصر القباوي، تلخيص محمد بن زفر بن عمر،

تصحيح وتحشية مدرس رضوي،تهران ١٣٦٢ش .

٥- تاريخ بيهق ،ابو الحسن علي بن زيد بيهقي، المعروف بابن فندق،تحقيق احمد بهمنيار،تهران ١٣١٧ش.

٦- تاريخ سيستان (السجستان) ،لمؤلف مجهول ،تحقيق ملك الشعراء بهار،تهران ١٣١٤ ش.

٧- تاريخ قم ، حسن بن محمد بن حسن قمي، كتبه بالعربية في سنة ٣٧٨ ثم ترجمه إلى الفارسية حسن بن علي بن حسن بن عبد الملك قمي في سنة٨٠٥ -٨٠٦ ، تحقيق سيد جلال الدين تهراني، تهران قمي ١٣٦١ ق .

٨- تاريخ طبرستان، بهاء الدين محمد بن حسن بن اسفنديار الكاتب ، تحقيق عباس اقبال، تهران ١٣٢٠ش.

٩- تاريخ يزد ، جعفر بن محمد بن حسن جعفري من علماء القرن التاسع ، تحقيق ايرج افشار ١٣٣٦ش .

١٠- ترجمة محاسن اصفهان للمافروخي،حسين بن محمد بن محمد بن ابي الرضا آوي سنة ٧٢٩ق، تحقيق عباس اقبال، تهران ١٣٢٨ش.

١١- احياء الملوك ،ملك شاه حسين سيستاني، يشتمل على تاريخ سيستان(=السجستان) من العصور القديمة إلى سنة ١٠٢٨هـ، تحقيق دكتر منوچهرستوده، تهران ١٣٤٤ش .

د- التصوف والعرفان :

١- مناقب العارفين ، شمس الدين احمد افلاكي، تحقيق تحسين يازجي، تهران ١٣٦٢ش.

٢- العروة لاهل الخلوة ، علاء الدولة سمناني المتوفى ٧٣٦ ق ، تحقيق نجيب مايل الهروي،تهران ١٣٦٢ ش .

٣- الانسان الكامل، عزيز الدين نسفي ، تحقيق ماريژان موله،تهران ١٣٦٢ ش.

٤- ينبوع الأسرار في نصائح الأبرار،كمال الدين حسين خوارزمي في سنة ٨٣٢هـ ، تحقيق دكتور مهدي درخشان، تهران ١٣٦٠ ش .

٥- عبهر العاشقين، شيخ روزبهان بقلي شيرازي، (٥٢٢/٦٠٦ هـ) تحقيق هنري كربن ودكتر محمد معين ، تهران ١٩٥٨/ ١٣٣٧ش .

٦- قدسية (كلمات بهاء الدين نقشبند) خواجه محمدپارسای بخارائي،تحقيق دكتر أحمد طاهري عراقي، تهران ١٣٥٤ ش .

٧- التصفية في احوال المتصوفة، ابوالمظفر منصور بن اردشير العبادي، تحقيق دكتر غلام حسين يوسفي، تهران ١٣٦٨ ش.

٨- طبقات الصوفية ، شيخ الإسلام أبو اسماعيل عبد الله هروي انصاري تحقيق عبد الحي حبيبي،كابل ١٣٤١ ش .

٩- فتوّت نامه سلطاني، مولانا حسين واعظ كاشفي سبزواري ، تحقيق محمد جعفر محجوب، تهران ١٣٥٠ش.

١٠- شرح التعرف لمذهب التصوف ، اسماعيل بن محمد المستملي البخاري، تحقيق محمد روشن، تهران ١٣٦٦ ش .

١١- اسرار التوحيد في مقامات الشيخ أبي سعيد ، محمد بن منور ميهني ، تحقيق محمد رضا شفيعي كدكني تهران ١٣٦٦.

١٢-روح الأرواح في شرح اسماء الملك الفتاح، شهاب الدين احمد السمعاني،تحقيق نجيب مايل هروي تهران ١٣٦٨ ش .

١٣- شرح فصوص الحكم ، محي الدين ابن العربي، تاج الدين حسين بن حسن الخوارزمي ، تاليف خلال السنوات ٨٣٥ -٨٣٨ ، تحقيق نجيب مايل

الهروي، تهران ١٣٦٤.

١٤- روضات الجنان وجنات الجنان، الحافظ حسين ابن الكربلائي من علماء القرن العاشر، تحقيق جعفر سلطان القرائي،تهران ١٣٤٤ ش .

١٥- كشف الحقائق ،عبد العزيز بن محمد نسفي، تحقيق دكتر أحمد مهدوي دامغاني ، تهران ١٣٤٤ ش .

١٦- رشف النصائح الإيمانية وكشف الفضائح اليونانية، أبو حفص عمرو بن محمد سهروردي، تحقيقن جيب مايل هروي،تهران ١٣٦٥ ش .

١٧- مصباح الهداية ومفتاح الكفاية، عزالدين محمود كاشاني المتوفي ٧٣٥، تحقيق جلال الدين همائي، تهران ١٣٦٧ ش .

١٨- انس التائبين . شيخ احمد جام ،تحقيق علي فاضل ، تهران ١٣٦٨ش

١٩- شرح فصوص الحكم ، خواجه محمد پارسا من علماء القرن الثامن ، تحقيق دكتر جليل مسكر نژاد، تهران١٣٦٦ ش.

٢٠- نصوص الخصوص في ترجمة الفصوص ،ركن الدين مسعود بن عبدالله الشيرازي المتوفى ٧٦٩ تحقيق دكتر رجب علي مظلومي، تهران ١٣٥٩.

٢١- شرح شطحيّات ، شيخ روز بهان بقلي شيرازي، تحقيق هانري كربن،تهران١٩٦٦/١٣٤٤ ش .

٢٢- معارف بهاء الدين محمد بن جلال الدين محمد بلخي(=سلطان ولد) ٦٢٣ -٧١٢، تحقيق نجيب مايل هروي ، تهران ١٣٦٧ ش .

٢٣- تذكرة الأولياء ، فريد الدين عطار نيشابوري، تحقيق محمد استعلامي،تهران ، ١٣٤٦ش .

٢٤- مرصاد العباد د،نجم الدين رازي، تحقيق دكتر محمد أمين رياحي

تهران ١٣٥٢ش.

٢٥- تمهيدات عين القضاة همداني، تحقيق الدكتور عفيف عسيران،تهران ١٣٣١ش.

٢٦- أوراد الأحباب وفصوص الآداب ، ابو المفاخر، يحي باخرزي، تحقيق ايرج افشار، تهران ١٣٤٥ش .

٢٧- بحر الحقيقة، خواجه أحمد غزالي، تحقيق نصرالله پورجوادي، تهران ١٣٥٦ ش.

٢٨- ترجمة سيرة ابن خفيف شيرازي، ابو الحسن الديلمي، ركن الدين يحى بن جنيد الشيرازي، تحقيق شميل ، طاري، آنكارا ١٩٥٥م

٢٩- غاية الامكان في دراية المكان، عين القضاة الهمداني الميانجي،تحقيقدكتر رحيم فرمنش، تهران ١٣٣٩ش.

٣٠- فردوس المرشدية في اسرار الصمدية (سيرة الشيخ ابي اسحاق الكازروني) محمود بن عثمان تأليف سنة ٧٢٨، تحقيق ايرج افشار ، تهران ١٣٣٣ش.

٣١-نفحة الروح وتحفة الفتوح، مؤيد الدين جندي من علماء القرن السابع تحقيق نجيب مايل هروي، تهران ، ١٣٦٣ ش.

٣٢- مَرموزات اسدي در مرموزات داودي،نجم الدين رازي(٥٧٠-٦٥٤) تحقيق دكتر محمد رضا شفيعي كدكني، تهران ١٣٥٢ش .

٣٣- منتخب سراج السائرين ،احمد جام نامقي(ژنده پيل)، تحقيق دكترعلي فاضل ، تهران ١٣٦٨ش.

٣٤- مناقب الصوفية، ابوالمظفر منصور بن اردشير عبادي مروزي ، من علماء القرن السادس، تحقيق محمد تقي دانش پژوه وايرج افشار ، تهران

١٣٦٢ش.

٣٥- مكاتبات عبد الرحمن اسفراييني وعلاء الدولة سمناني، تحقيق هرمان لندلت، تهران ١٣٥١ش.

٣٦- مفتاح النجات ، شيخ الإسلام احمد جام ، سنة ٥٣٢، تحقيق دكترعلي فاضل تهران ١٣٤٧ش.

٣٧- كاشف الاسرار ،نور الدين اسفراييني،حققه وترجمه إلى الفرنسية الدكتور هرمان لندلت،تهران ١٣٥٨ش .

٥ ـ الموضوعات المختلفة الأخرى :

١-درة التاج لغرة الدباج، قطب الدين شيرازي، تحقيق سيد محمد مشكوة تهران ١٣٢٠ش(المنطق)

٢- آثار و احياء ، رشيد الدين فضل الله همداني، تحقيق منوچهرستوده وايرج افشار، تهران ١٣٦٨(الزراعة)

٣- الاغراض الطبية والمباحث العلائية، سيد اسماعيل جرجاني ، تهران ١٣٤٥ش (الطب) .

٤- جهان نامه، محمد بن نجيب بكران تأليف سنة ٥٠٠، تحقيق دكتر محمد امين رياحي ، تهران ١٣٤٢ (الجغرافيا)

٥- التفهيم لاوائل صناعة التنجيم، ابو ريحان بيروني،تحقيقجلال الدين همائي، تهران ١٣١٨ش (النجوم)

٦- هداية المتعلمين، ربيع بن احمد الاخويني البخاري من أطباء القرن الرابع،تحقيق دكتر جلال متيني، مشهد ١٣٦٦(الطب)

٧- ذخيرة خوارزمشاهي، سيد اسماعيل جرجاني(٤٣٤ - ٥٣١) ، تهران ١٣٥٥ ش (الطب)

٨- مصنفات افضل الدين محمد المرقي الكاشاني ،تحقيق مجتبى مينوي ويحي مهدوي ، تهران ١٣٣٤ ش (الفلسفة)

٩- حدود العالم من المشرق الى المغرب في سنة ٣٧٢هـ،تحقيق دكترمنوچهر ستوده،تهران ١٣٤٠ش. (الجغرافيا) .

١٠- داراب نامه طرسوسي، ابو طاهر محمد بن حسن الطرسوسي، تحقيق الدكتور ذبيح الله صفا،تهران ١٣٥٦ ش (الحكايات والاسمار)

١١- اخلاق ناصري ، نصير الدين الطوسي، تحقيق مجتبى مينوي، تهران ١٣٥٦ ش (الاخلاق)

١٢- سير الملوك، خواجه نظام الملك الطوسي، تحقيق هيوبرت دارك، تهران ١٣٤٠ ش (الأخلاق وآداب الملوك)

١٣- سندبادنامه ، محمد بن علي الظهيري السمرقندي، تحقيق أحمد آتش، تهران ١٣٦٢ ش . (الحكايات والاسمار)

١٤- قابوس نامه،عنصر المعالي كيكاووس بن قابوس ، تحقيق الدكتور غلام حسين يوسفي، تهران ١٣٦٤ ش (الاخلاق وآداب الملوك)

١٥- قراضه، طبيعيات ، ابن سينا، تحقيق دكتر غلام حسين صديقي تهران ١٣٣٢ش (العلم الطبيعي)

١٦- سفرنامه ، ناصر خسرو، تحقيق دبير سياقي ، تهران ١٣٣٥ش الرحلات)

١٧- الرسالة العلية في الاحاديث النبوية،كمال الدين حسين كاشفي بيهقي سبزواري، تحقيق جلال الدين محدث، تهران ١٣٠٠ ، تهران ١٣٤٤ ش (الحديث) .

١٨- خوان الاخوان ، ناصر خسرو، تحقيق دكتريحى الخشاب القاهرة

١٩٢٠ ش (الفلسفة الاسماعيلية) .

١٩- چهار مقاله،نظامي عروضي، تحقيق دكتر محمد معين،تهران ١٣٣١ش (في الكتابة والشعر والنجوم والطب).

٢٠- بيان الصناعات ، حبش بن ابراهيم التفليسي ، تحقيق ايرج افشار، تهران ١٣٣٦ ش (الكيمياء)

٢١- اساس الاقتباس ، نصير الدين الطوسي ، تحقيق محمد تقي مدرس رضوي، تهران ١٣٢٦ ش (المنطق)

٢٢- اخلاق محتشمي، نصيرالدين طوسي، تحقيق محمد تقي دانش ، تهران ١٣٣٩ش (الاخلاق)

٢٣-مخزن الأدوية ، عقيلي خراساني ، تهران ١٢٧٧، طبعة حجر العقاقير والادوية).

٢٤- راحة الارواح (بختيار نامه) ،شمس الدين محمد قايقي هروي ، تحقيق ذبيح الله صفاء ،تهران ١٣٤٥ ش (الحكايات والاسمار)

٢٥- المعجم في معايير اشعار العجم ، شمس الدين محمد بن قيس رازي،تحقيق محمد تقي مدرس رضوي ١٣١٤ ش (العروض والبديع والقافية).

٢٦- حدائق السحرفي دقائق الشعر،رشيد الدين وطواط، تحقيق عباس إقبال ، تهران ١٣٠٨ ش (البديع)

٢٧- دانش نامه علائي ،الشيخ الرئيس حسين بن علي بن سيناً ،تحقيق الدكتورمحمد معين، تهران ١٣٣١ش (الفلسفة)

٢٨- تذكرة آغاز وانجام (=تذكرة المبدأ والمعاد) ، نصير الدين الطوسي ، تحقيق ايرج افشار، تهران ١٣٣٥ش (الفلسفة)

٢٩- جامع الحكمتين،ناصر خسرو ، تحقيق هانري كربن،تهران ١٩٥٣م

(علم الكلام الاسماعيلي).

٣٠- شرح قصيدة ابوالهيثم احمد بن حسن جرجاني ، محمد بن سرخ نيشابوري ، تحقيق هانري كربن، محمد معين، ،تهران ١٩٥٥م (علم الكلام الاسماعيلي).

٣١- ترجمان البلاغة ، محمد بن عمرو الرادوياني ، تحقيق أحمد آتش ، استانبول ١٩٤٩م (علم الشعر)

٣٢- عرائس الجواهرونفائس الاطايب ،ابو القاسم عبد الله الكاشاني، در سال ٧٠٠هـ ، تحقيق ايرج افشار ، تهران ١٣٤٥(الجواهر) .

٣٣- جامع الالحان عبدالقادر بن غيبي الحافظ المراغي من علماء القرن الثامن ، تحقيق تقي بينش، تهران ١٣٦٦(الموسيقى).

٣٤- الابنية عن حقائق الادوية ، ابو منصور موفق الدين الهروي،ألفه سنة ١٣٥٠ إلى ٣٦٥ ،تهران ١٣٦٦ش (الصيدنة)

٣٥- حقائق الحدائق في علم البديع ، شرف الدين حسن بن محمد الرامي التبريزي٧٧د ٧٥٧هـ تحقيق السيد محمد كاظم امام ،تهران ١٣٤١ ش(البديع)

٣٦- روضة المنجمين ، شهمردان بن ابي الخيرالرازي المتوفي ٤٤٦ هـ ، تهران ١٤٠٩ ق (النجوم) .

وختاما نرجو أن تكون هذه الوجيزة مفيدة للتعريف بمساهمة اللغة الفارسية في الحضارة الإسلامية بالإجمال.ونأمل أن تسنح لناالفرصة لبيان تفصيل هذا البحث بتوفيق الملك المنان .

★ ★ ★ ★ ★

المصادر

١- البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٦٨م، ج١ص١٣و١٤.

٢- التنبيه والاشراف ، المسعودي، تحقيق عبدالله اسماعيل الصاوي . القاهرة ١٣٥٧ق . ص٩٢.

٣- ديوان البحتري ، مطبعة الجوانب ، قسطنطنية ١٣٠٠ق . ج١ص ١١٠.

٤- الصناعتين ، ابو هلال العسكري،القاهرة ١٣٧١ق ص ٦٩.

٥- ادب الكتاب ، الصولي ، القاهرة ١٣٤١ ق ص ١٩٣.

٦- بغداد . ابن طيفور . القاهرة ١٩٤٩م ص ٨٧ .

٧- البيان والتبيين ، ج١ص ٣٦٨ .

٨- دمية القصر، الباخرزي، حلب ١٩٣٠ م ص ٢٦٧ .

٩- يتيمة الدهر ، الثعالبي، القاهرة ١٣٦٦ق ج ٢ ص ٢٥٧.

١٠- البيان والتبيين ، ج ١ص ١٤٢.

١١- الصيدنة ، ابوريحان البيروني ، تحقيق الحكيم محمد سعيد ، كراچي ١٩٧٣م ، ص ١٢.

١٢- المبسوط، شمس الأئمة السرخسي ، القاهرة ١٣٢٤هـ .ج ١ص ٣٧.

١٣- تاريخ بخارا، ابوبكرمحمد بن جعفر النرشخي ، ترجمة القباوي، تلخيص محمد بن زفر، تحقيق محمد تقي مدرس رضوي، تهران ١٣٦٢ش ، ص ٦٧.

١٤- الزينة ، ابو حاتم الرازي، القاهرة ، ١٣٥٧ق ، جـ ١ص ٦٢.

١٥- ترجمة تفسير طبري ،تحقيق حبيب يغمائي ، المجلد الأول ،تهران ١٣٣٩ش .

AL-TAWHĪD

A Quarterly Journal of Islamic Thought and Culture

A quarterly journal published by Sāzmān-e Tablīghāt-e Islāmī, Tehran, Islamic Republic of Iran. Contains articles on Qur'ānic studies, ḥadīth (tradition), Islamic philosophy and 'irfān (mysticism), fiqh and uṣūl (law and jurisprudence), Islamic history, economics, sociology, political science, comparative religion, etc., and reviews on books on related topics. The Journal was launched in 1983.

Scholars from all over the world are invited to contribute to the journal.

All contributions and editorial correspondence should be sent to:

The Editor, Al-Tawḥīd (English), P.O.Box 14155-6449, Tehran, Islamic Republic of Iran.

Distributed by:
Orient Distribution Services
P.O.Box 471, Harrow Middlesex HA2 7NB, England

Subscription Rates (inclusive of postage):

	Per copy	Annual Subscription
Institutions & Libraries	£5.00	£20.00
Individuals	£3.75	£15.00
Back copies	£4.00	
India & Pakistan	Rs. 25	Rs. 100

دور اللغة الأردوية في تطوير الحضارة الإسلامية

للدكتور جاويد إقبال

AL-TAWHĪD

(١) وصل الإسلام إلى شبه القارة الهندية في القرن السابع للميلاد على يد محمد بن القاسم حينما فتح مناطق السند وضمها إلى المملكة الإسلامية وبفضل دخول العرب السند تأثرت اللغة السندية من الأفكار الإسلامية . ولم تكن اللغة الأردوية قد برزت إلى حيز الوجود آنذاك .وبسبب فتح السند على يد العرب عرفت السند بـ" دار الاسلام " إلا أن المناطق الأخرى من شبه القارة الهندية لم تتأثر من الأفكار الإسلامية على أية حال لم تكن اللغة الأردوية موجودة حتى القرن السابع الميلادي . إنما برزت اللغة الأردوية إلى حيز الوجود بعد أربعمائة عام .

(٢) إن القوات الإسلامية قد ضربت بسهم مصيب في إنشاء اللغة الأردوية وتطويرها حيث كانت القوات الإسلامية حينذاك تحوي الترك والأفغان والفرس والعرب . وكان العرب قليلون وغيرهم أكثر عددا منهم ، وخاصة في القرن الحادي عشر والثاني عشر كانت القوات الإسلامية تقودها الأتراك أو الأفغان ، ومنهم السلطان محمود الغزنوي والذي اختار ابنه مدينة لاهور مقر

حكومته ، وجعلها عاصمة لحكومته . خلال هذين القرنين في عصر السلطان قطب الدين أيبك كان العسكريون في جنوده يتكلمون بالناس الذين كانوا حولهم في مدينة لاهور ودهلي وكان معظم الجنود الترك والأفغان وايرانيين .وكانوا يتحدثون باللغة التركية والفارسية.وبما أنهم مسلمون ولهم صلة بالإسلام تأثرت لغاتهم باللغة العربية . إلا أن الناس الساكنين بمدينتي لاهوروودهلي كانوا يتحدثون باللغة البنجابية القديمة أو باشا أو الهندية . وهذه هي اللغات المحادثة لهم.فلما اضطروا إلى المحادثة للوازم حياتهم اليومية فأوجدوا لغة كلماتها مأخوذة من التركية والفارسية والعربية والبنجابية والباشا والهندية . فبرزت إلى حيز الوجود لغة جديدة التي عرفت بـ" زبان أردو معلّى " وهذا تركيب تركيب فارسي . كلمة " زبان " فارسية وكلمة "اردو" كلمة تركية و"معلّى " كلمة عربية فحذفت على مر العصور كلمتا زبان ومعلى وعرفت اللغة بـ " اردو" وهذه الكلمة نالت الشعبية وذاعت . فمن هذه الناحية فالفضل يعود إلى الإسلام في إنشاء اللغة الأردوية وتطويرها . وهذا يعني أن هذه اللغة هي أول لغات (بل هي اللغة الوحيدة) التي أوجدها الإسلام وأنشأها . والإسلام هو خالقها ومنشؤها .

(٣) إن اللغة الأردوية مرت بمختلف المراحل التطورية في تاريخها يحوي تسعمائة سنة . ففي مرحلة كانت في شكل "ريخته" و " ريختي " اللغة التي كان الرجال يتحدثون بها كانت تعرف بـ" ريخته " والتي كانت النساء تتحدثن بها كانت معروفة بـ " ريختي " وهذا يدل على انفصال الرجال من النساء في مجتمعات شبه القارة الهندية ثم انعدم بمرّ الأزمان هذا الانفصال والفرق . ثم في مرحلة أخرى جعل المتصوفون اللغة الأردوية وسيلة للإرشاد والتعليم والتلقين . وأن كثيرا من الأسر المسلمة في شبه القارة الهندية اعتنقوا الإسلام وهاجروا من

الهندوكية إليه . والذي جعلهم يعتنقون الإسلام هو تمسكهم بالقيم الإسلاميةالعظيمة المثالية . وكثير من المتصوفين من السلاسل المختلفة أخذوا اللغة الأردوية وسيلة الإرشاد . ولذلك نجد الشعر الأردوي ونثر الأردوية مصبوغة بصبغة التصوف .والذي يستحق اهتماما خاصا هو " نعت " (ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم وقصيدة) و "حمد " مدح الذات الإلهية . وكذلك تأثرت الموسيقى ونري صنفا خاصا يعرف ب " قوالي " يشمل الحمد والثناء . فلو أمعنا النظر لوجدنا أن الأدب الأردوي تشكل شتى الأشكال وكلها تشير إلى حب الرسول صلى الله عليه وسلم .وخلال هذه المراحل اعتنق عدد هائل من الهندوس الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا .

(٤) في القرن السابع عشر للميلاد والتاسع عشر الميلادي قام العلماء الكبار بترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأردوية بالإضافة إلى كتب التفاسير وكتب الحديث والفقه . وهذا ما خلق بيئة إسلامية وبدأ الناس يتعصبون للإسلام وكما أسلفنا أن اللغة الأردوية أوجدها الإسلام فهذه اللغة التي سببت دخول الناس الإسلام . والتاريخ يشهد أن الناس الذين اعتنقوا الإسلام بلغ عددهم إلى الملايين . وهناك مكتبة قيمة أردوية تحتوي على الموضوعات الإسلامية . والمكتبة الأردوية الإسلامية بدرجة استحسنها واعترف بها العلماء العرب .

(٥) إن أهم الخدمات التي قامت به اللغة الأردوية في تطوير الحضارة الإسلامية هو أن الأفكاروالنظريات التي ظهرت حول الإسلام في شبه القارة الهندية كانت الأردوية أداة بيان لها . وأحب أن أشير هنا أن الأفكار والنظريات التي أتت من المغرب في القرن التاسع عشر والعشرين قد أفسدت المجتمعات . فالقومية والوطنية والديموقراطية وغيرها من النظريات الجديدة قد أخذها الهندوس كما هي إلا أن المسلمين معظمهم لم يأخذوها في شكلها الأصلي .

فكرة فعل ظهرت ثلاثة ميول فكرية حول الإسلام . أحدها تقليدي وثانيها إصلاحي وثالثها شعبي . أن الأميين والدهماء من الناس بسبب ميلهم إلي التصوف كانوا يتبعون الشيوخ المتصوفين . وهذه الجماعة قد استغلها رجال الدين والسياسة . أما النظرية التقليدية فبدأت الحرب بين أهلهاوبين أهل النظرية الإصلاحية . وما زالت الحرب دائرة بينهما . والنظرية الإصلاحية نشرت وذاعت أفكارها باللغة الأردوية . وكان زعماء هذه النظرية وروادها هم السير سيد أحمد خان وشبلي ومحالي وأكبر اله آبادي وغيرهم إلى العلامة محمد إقبال . وبفضل مؤلفات هؤلاء الرجال التي ألفت بالأردوية وصلت إلى مسلمي شبه القارة الهندية ثلاث نظريات جديدة. وهي " نظرية شعبان منفصلان "! أي أن المسلمين والهندوس في شبه القارة الهندية يعيشون منذ القرون في مجتمع واحد إلا أنهم شعبان منفصلان) ونظرية الشعب المسلم ونظرية جغرافية للشعب الإسلامي . أن كلا من هذه النظريات الثلاث قدمها أهل النظرية الإصلاحية وأخيرا نالت النظرية الشعبية . وبسبب هذه النظريات الثلاث الاجتهادية أقيمت حركة إنشاء باكستان التي أدت إلى استقلال دولة إسلامية مستقلة باسم باكستان تحت رئاسة القائد الأعظم محمد على جناح . ومن أسباب إنشاء باكستان هي عناد الهندوس ضد اللغة الأردوية . لأن اللغة الأردوية كانت تعتبر رمزا للإسلام. وكان الهندوكيون قبل إقامة حركة إنشاء باكستان يطالبون وينادون باتخاذ اللغة الهندية كلغة رسمية في شبه القارة الهندية . وكان المسلمون يخالفونهم في طلبهم هذا . وبما أنهم كانوا يريدون أن تتم الموافقة على اتخاذ لغة أردوية كلغة رسمية صارت قضية اللغة الأردوية قضية مركزية في تكوين وتشكيل نظرية شعبين. وصارت اللغة الأردوية تعتبر لغة المسلمين كما أن المسلمين شعب يختلف عن الهندوس تختلف لغتهم أيضا عن اللغة الهندية وإذا

برزت باكستان إلى حيز الوجود وظهرت حدودها الجغرافية كمنطقة إسلامية . وقرر القائد الأعظم محمد على جناح الأردية لغة رسمية لها .

وأن اللغة الأردوية هي التي كشفت الستار عن هذه الحقيقة أن الشعب يتألف على أساس الإيمان وليس على أساس اللغة والنسل والمنطقة .

فمن هذه الناحية أن اللغة الأردوية لغة الإسلام ولغة حب الرسول صلى الله عليه وسلم . والأردوية خلقت نظرية وبيئة التي أنشأها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن هاجر من مسقط رأسه مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وقام بالمواخاة بين المهاجرين والأنصار وأسس ولاية إسلامية .

ومن سوء الحظ أن العرب لم يوحدوا صفوفهم على أساس تلك النظرية إلا أن كفار الهند اعتنقوا الإسلام وأسسوا على أساس تلك النظرية مملكة إسلامية بإسم باكستان (وقد أشار إليه العلامة إقبال في شعره) (١١) كذلك نعلم أن اللغة الأردوية لم تلعب دورها في مجالات العلم والأدب فحسب بل في مجالات العمل أيضا. وبمساعدتها مع الوسائل الأخرى أنشئت دولة مستقلة .

ومن الطريف أن اللغة الأردوية لا تنطق في أية منطقة من مناطق باكستان ومع ذلك أقيمت باكستان على أساس الإيمان ولغة الشعب الباكستاني هي الأردوية .

---

(١١)

يافؤاد ، ابن السعود ، فيصل	كلكم مثل الدخان يرفل
أوقدوا في الصدر نارا أخمدت	أرجعوا أيام دنيا ضيعت
وادي البطحاء أنجب خالداً	نشتهي التوحيد فيك غردا
أمة الإيمان ، ياسود الجلود	منكمو أستاف عطرا للخلود
فإلام تجهلون سيركم	وتولون سواكم أمركم
ليت شعري هل تخافون البلاء	البلاء كان للمرء الصفاء

وأخيرا نرى أن النزعات الجديدة في الإسلام والعمليات الإصلاحية تلعب اللغة الأردوية دورها المثالي في تحقيقها . فتطبيق الديموقراطية في باكستان والحفاظ على الحقوق الإنسانية واحترام القانون وتنفيذه هوالإصلاحات الاقتصادية لعبت اللغة الأردوية دورها في تحقيقها . فمعنى ذلك أن الدور الذي سوف يلعب الإسلام غدا سياسيا وأخلاقيا واقتصاديا في باكستان أهم عناصره اللغة الأردوية .

وهناك كتب ألفت حول هذه الموضوعات في باكستان وليس للباكستانيين أن يستفيدوا منها فحسب بل العالم الإسلامي بأسره يستطيع أن يستفيد منها .

* * * * *

الأدب الأردي المعاصر
ومدى تأثره بالأدب العربي المعاصر

للأستاذ الدكتور ظهور أحمد أظهر

إن الحديث عن الأدب الأردي المعاصر ومدى تأثره بالأدب العربي المعاصر طويل وثقيل جدا، إذهو حديث ذو شجون، وصورة ذات ألوان،وموضوع هام وواسع في نفس الوقت، ويحتاج إلى الكثير من إنفاق الوقت وبذل الجهود ، وليس من الممكن بل المعقول أن يستوعب حديث موجز مقتضب مثل حديثنا هذا موضوعا واسعا مثل موضوع الأدبين المعاصرين الأردي والعربي ومدى تأثرالأول بالثاني، إذ كل واحد من هذين الأدبين المعاصرين حديث ذوشجون ، وصورة ذات ألوان وموضوع واسع يكلف المتحدث أن يتناول جوانبه المختلفة المتنوعة ، وأن يلم بأطرافه البعيدة المترامية لكي يتمكن من الدراسة المقارنة وينص على مدي التأثير أو التأثر بينهما وإنما يقتضي هذا الموضوع الواسع الهام والحديث المتنوع من الباحث أو الكاتب أن يتناوله على وجه التفصيل والإطناب بل وأن يعتزم على إعداد المجلدات الضخام التي هي وحدها بإمكانها أن ترضى حاجة القراء وتوفي بأغراض الطلاب، إلا أن الحل أو الطريق الأقصر في مثل هذه المناسبات إنما هو الاكتفاء بالعمل بقول العرب الكرام بأن الذي لا يدرك كله لا يترك كله !

وكذلك فإن الذي يهم المتحدث في مثل هذه المناسبات أو الكاتب الذي يؤلف عن مثل هذا الموضوع إنما هو التعريف الدقيق بالموضوع وتحديده تحديدا صحيحا مضبوطا، وذلك لأن بداية الحديث بدون التعريف والتحديد يجعل المتحدث يتيه في المتاهات الشاسعة والأطراف المترامية ولا يتمكن من الوصول إلى نهاية منشودة وهدف معين كما أنه يتعب القارئ المتتبع له على هذا الطريق الطويل والمشوار البعيد لهذا السفر المرهق المضني الثقيل .

إذن فلا بد لنا ، قبل كل شئ ، أن نحدد نقطة الانطلاق من حديثنا أو الخطوة الأولى من سفرنا هذا ، وسيكون من المناسب المعقول جدا، لو جعلنا من فجر الاستقلال أو إنشاء باكستان في سنة١٩٤٧م نقطة البداية لكي نصل بالسهولة إلى النهاية من يومنا هذا الذي نحن فيه الآن، وكذلك فإن حديثنا سوف يتناول الموضوع على سبيل الإجمال والاقتضاب كما أننا مضطرون على أن نكتفي بالإشارات إلى جوانب الموضوع المختلفة دون أن نتوغل فيها.

فمن الواضح والمعلوم تاريخيا أن يوم ١٤ من شهر أغسطس سنة ١٩٤٧ م هو فجر الاستقلال والعيد الوطني بالنسبة إلى باكستان شعبا وحكومة ، وذلك الفجر المضئ، بطبيعة الحال، هو الذي غيّر مجري التاريخ لشبه القارة كما غير الكثير من الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية بالإضافة إلى ما غيّر من المواقف الفكرية والجوانب الأدبية للمنطقة كلها.

ومن الواضح البهي أيضا أن الظروف السياسة لها دورها ومكانتها في توجيه الحوادث والوقائع فإن الكثير من الأوضاع والأحوال تخضع للنظم السياسية في وقت من الأوقات أو في بلد من البلاد، وعليه فقد كان إنشاء باكستان أو انقسام شبه القارة إلى الدولتين المستقلتين ، حدثا عظيما قد أثّر في نفوس الناس كما أثّر في توجيه ما تلاه من الأوضاع والظروف ، بما فيه الأدب

الأردي والقيم الاجتماعية والمذاهب العلمية والأفكار الأدبية ، ليس في باكستان فحسب بل في شبه القارة كلها، وفيما حولها من الأماكن والبلاد.

وقد رافق هذا الحدث التاريخي العظيم تيارا ت فكرية وأدبية، ومن أبرزها ثلاثة تيارات ، فمنها التيار الأدبي الإسلامي الذي ساعد وساهم بالكثير في حركة باكستان، وكفاح الشعب المسلم الهندي ، لإنشاء وطنه المستقل ، وقد كان سيد أحمد خان ورفاقه هم الرعيل الأول لهذا التيار الأدبي والفكري، وأن الزعيم البطل لهذا التيار دون خلاف وغيرمدافع هو العلامة محمد إقبال ، شاعر الإسلام ، وفيلسوف الشرق ، وأما التيار المعارض المضاد له فهو التيار الوطني أو القومي الذي كان ينادي بقومية موحّدة تشمل الهنادكة والمسلمين جميعا وأن ثالث التيارات الثلاثة هو تيار الفكر الشيوعي والاشتراكي ، وقد اختار لنفسه لقبا وأحب أن يعرف به ويذكر، ألا وهو لقب التقدم أو التقدمية، وكانوا يلقبون غيرهم من الأدباء والشعراء بالرجعيين ، وعلى وجه أخص أتباع التيار الأدبي الإسلامي، وكانت بينهم معارك أدبية وفكرية قد تركت آثارا أدبية وتأثيرا بالغا للغاية قد ساهم في النهوض بالأدب الأردي كما ساعد في التقدم الفكري والحضاري للمنطقة .

ولكي نتمكن من الاستيعاب للجوانب الهامة للأدب الأردي المعاصر ، ونلم بها إلماما ، يجب أن نتناولها على سبيل السرد الإجمالي ، ونبدأ بما تحقق في مجالي البحث والنقد خلال المدة القصيرة التي تلت إنشاء باكستان واستقلالها كدولةإسلامية كبري في وقتها في سنة ١٩٤٧م، والتي تكاد تبلغ نصف القرن من الزمان، فمن المحققين الأفاضل الدكتور عبد الوحيد قريشي أستاذ اللغة الأردية ورئيس قسمها وعميد كلية الدراسات الإسلامية والشرقية لجامعة بنجاب سابقا، ورئيس " المقتدرة (أي السلطة) الأردية لحكومة

باكستان،" ومدير أكاديمية إقبال حاليا، وهو أستاذ جامعي معروف، وباحث كبير، وله شعر أردي لا بأس به ، إلا أن مجاله الأكادمي الأصلي إنما هو البحث والنقد، فالأستاذ قريشي باحث ناقد ، وناقد باحث في نفس الوقت،ونعني بذلك أنه يبحث بعين الناقد وينقد ببصيرة الباحث، فينظر إلى موضوع البحث فيستوعب جميع جوانبه ويتعمق فيها بعين الناقد البصير، وأما إذا تناول موضوعا للنقد فإنه يبحث عن أطرافه البعيدة وجوانبه العميقة لكي يطلع على خباياه ويبرز خفاياه ثم يحكم عليه حكم الحكم الصائب والخبير الناقد ، ويدل على ذلك ويؤيده ما يجده القارئ في أبحاثه القيمة ومقالاته النقدية مثل (شبلی کی حیات معاشقه) أي حياة (شبلي) الغرامية ، ذلك الكتاب النقدي البحثي الذي أثارضجة في وقته، و(حالی کے مقدمه شعر وشاعری کا تحقیقی مطالعه) أي الدراسة النقدية لمقدمة الشعر والشاعرية للشيخ (حالی) والدراسة النقدية للأدب الكلاسيكي، وكتاب الدراسات النقدية وغيرها .

ومن هؤلاء المحققين الباحثين الفطاحل الدكتور جميل جالبي رئيس جامعة كراتشي سابقا ورئيس السلطة الأردية أو (مقتدرة اردو) سابقا، والدكتور جميل جالبي من مؤرخي الأدب الأردي الذي ألف كتابا مفصلا جامعا مستوعبا لجميع الجوانب التاريخية للغة الأردية وآدابها وهو (تاريخ أدب اردو) في أربع مجلدات بالإضافة إلى ما حققه من المخطوطات الأردية الثمينة وبما قام من ترجمة الكتب القيمة ، كما أنه قد أعدّ معجما للكلمات الأردية القديمة، ويضاف إلى ذلك اسم الدكتور فرمان فتحبوري الأستاذ بجامعة كراتشي الذي أعدّ بحوثا قيمة وكتبا ثمينة منها القصص الأردية المنظومة (اردو کی منظوم داستانیں) وتراجم الشعراء الأرديين وفن التراجم (أردو شعراء کے تذکرے اور تذکره نگاری)واللغة واللغة الأردية (زبان اور اردو زبان) بحث ونقد(تحقیق

وتنقيد) والدوبيت الأردي : تطوره الفني والتاريخي (اردو رباعي:فنى وتاريخي ارتقاء) .

ومن الباحثين النقاد الأستاذ محمد منور مرزا أستاذ اللغة الأردية بكلية لاهور الحكومية سابقا وأستاذ الإقباليات بجامعة پنجاب سابقا ومدير أكاديمية إقبال سابقا، فقد ألف الأستاذ منور كتبا قيمة عن أقبال وشعره وفكره، ومنها ميزان إقبال وإيقان إقبال والغزل الفارسي للعلامة إقبال (علامه إقبال كى فارسى غزل) وبما أن الأستاذ منور يعرف العربية والفارسية جيدا وهو مطلع على خلفية الكفاح الإسلامي من أجل انشاء باكستان ودور العلامة إقبال في ذلك فانه قد استعان بكل ذلك فيما ألف أو كتب عن إقبال وباكستان وحركتها وتاريخا.

وننهي هذا الجانب من الأدب الأردي المعاصر بالحديث عن الكتاب القيم عن حياة إقبال لابنه الدكتور القاضي المتقاعد العلامة جاويد إقبال في ثلاثة أجزاء وقد سماه (زنده رود) أي النهر الخالد وذلك لقب قد اختاره العلامة إقبال لنفسه وعلى لسان الشيخ جلال الدين الرومي في كتابه (جاويد نامه) أو رسالة جاويد ، وأعجب ابنه بهذا اللقب مما جعله يختاره عنوانا لكتابه عن حياة أبيه الشاعر الفيلسوف وقد ترجم الكتاب (زنده رود) أو النهر الخالد إلي اللغتين العربية والفارسية فأما الترجمة العربية فقد قام بها كاتب هذا المقال كما أن الترجمة الفارسية قد قامت بها سيدة إيرانية ، وقد طبعت ونشرت هذه الترجمة ، وأما الترجمة العربية فهي لاتزال تحت الطبع عند بعض الناشرين العرب.

والجانب الثاني من بين جوانب الأدب الأردي المعاصر الذي يستحق اهتمامنا هو القصة الطويلة وقد كان الموضوع الأول والمهم بطبيعة الحال عقب

إنشاء باكستان واستقلاله إنما هو المشاغبات الطائفية التي سقطت فيها شبه القارة،والقتل والنهب والاغتصاب الذي كان نصيب البائسين المسلمين على أيدي العصابات اللصوصية من الهنادكة والسيخ فكانت صلات القرون بينهم وبين المسلمين قد انقطعت في لحظة واحدة وتحول الأصدقاء إلى الأعداء ، فقامت الكوارث الرهيبة التي لا تزال تخوف الناس من تلك الأجيال البائسة الشقية التي فقدت كل شئ وحرمت من كل شئ،وحتى من أعز الأقارب وأقربهم، فهذا قد ذبح أبوه وأخوه وأمه بين يديه، وعلى مرأى ومسمع منه ، وذاك قد اغتصبت زوجته أو أخته أمام عينيه فلم يستطع أن يفعل شيئا حتي أنه لم يستطع أن يستصرخ أو يستغيث ويرفع صوته، وقد ذهب الملايين من المسلمين رجالا ونساء وأطفالا ضحية لهذه المشاغبات التي دبّرها الأغلبية الساحقة من الهنادكة ضد مواطنيهم الذين عاش الهنادكة في ظلهم آمنين مطمئنين إلى أكثر من ألف عام !

فهذه الأوضاع الرهيبة والمشاغبات المجرمة هي كانت موضوع كثير من الكتاب والأدباء فألفوا القصص الطويلة والقصيرة عن الموضوع وكان على رأس هؤلاء الكتاب والأدباء الكاتب الروائي البارزمحمد أسلم أو أم أسلم الذي ألف عددا كبيرا من القصص الطويلة عن شتى الموضوعات يتجاوز أربعين قصة طويلة ، ومنها قصص عن هذا الموضوع وأبرزها (رقص إبليس) فقد تناول فيها الكاتب مؤامرات الهنادكة أغلبية الهند الساحقة التي لم تكن ولن تكون ـــ تؤمن بالتعايش السلمي مع أتباع الديانات الأخرى وقد حاولوا أن يخدعوا أقلياتهم قبل التحرر والاستقلال ويضطهدونها الآن لكي يقضوا عليها إما بطردها من البلاد أو قتلها أو بالانضمام إلى والذوب في المجتمع الهندوكي الذي لا يزال يؤمن بقذارة الإنسان غير الهندوكي والمنبوذية المزعومة.

وأبرز القصص الطويلة التي كتبت عن الموضوع هي قصة ألفها الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ نسيم حجازي وقد سماها (خاك وخون) أي تراب ودماء ،وهذه القصة تصور تلك المأساة الكبرى تصويرا صحيحا دقيقا وتقدم تلك الفظيعة من المؤامرة التي دبرها الأغلبية الساحقة الهندوكية فاستخدمت فئة السيخ ضد المسلمين كما خدعت هؤلاء بالأماني العذاب والوعود البراقة، وقصة الأستاذ نسيم حجازي هذه قد كانت موضوع فيلم أخرج قبل عشرين عاما أو أكثر ولكن الرقابة لم تسمح بعرضهاإلا بعد مدة طويلة، وفي عهد الرئيس الراحل ضياء الحق .

ومن القصص الطويلة التي تستحق أن نهتم بها قصة (جنت كى تلاش) أي البحث عن الفردوس ، وهي قصة طويلة رائعة جدا قد نالت العديد من الجوائز ، وهي تصور المناظر الطبيعية لجمهورية باكستان الإسلامية وقد أبدع مؤلفها (رحيم گل/ رحيم جل) وقدم عملا فنيا رائعا للقارئ الأردي بعد انتظار طويل وأمد غير قصير، فإن بطلة القصة(أمتل) قدبدأت رحلتها إلى المصائف الجبلية والمناظر الطبيعية في أرض باكستان من مدينة (أيبت آباد) الجبلية وإحدى المصائف الجميلة المريحة في باكستان، واستمرت تتجول مع بطل القصة الذي أحبها وعبثا حاول أن يصل إلى قلبها حتى عرف أخيرا أنها تبغض الرجال وتكره الزواج ، وكفى لها أنها قد تمتعت بالمناظر الطبيعية والمصائف الجبلية كلهافي أقاليم باكستان الأربعة من سرحد وبنجاب وبلوجستان والسند وكشمير،أن من أراد من السواح والزوار أن يزور مناطق باكستان المليئة بالجمال الطبيعي فعليه أن يقرأ (البحث عن الفردوس) قبل سفره. وقد أضاف رحيم جل قصة إلى قصته الأولى إلا أنها تصور خيال الكاتب وقد سماها (في وادى الظنون والأوهام) أو في وادى الخيال أى (وادى گمان ميں).

وقبل أن ننهي الحديث عن هذا الجانب وننتقل إلي جانب آخر من الأدب الأردي نري من المفيد والضروري أن نشير إلى ثلاث قصص طويلة قد نالت إعجاب القارئ الأردي واكتسبت خلودا وشهرة لها ولمؤلفيها ، وأولها (خدا کی بستی) أي بلاد الله عزوجل لمؤلفها(شوکت صدیقي) وقد تتبع الكاتب في قصته هذه أسلوب الكاتب الروائي الإنجليزي تشارلس دكنز في تصوير الحقائق الواقعية عن الحياة البشرية العامة ، والكاتب من جماعة التقدميين أي الاشتراكيين ، ويصور في قصته طبقات المجتمع وهي تتنازع وتتشاجر فيما بينها، وأما القصة الثانية فهي قصة الكاتب عبد الله حسين الذي ألف (أداس نسليں) أي الأجيال اليائسة الحزينة المضطربة المتأزمة، ومن الجدير بالذكر أنه لم يؤلف شيئا قبلها ، فهي باكورة أعماله الأدبية ولكنها جعلت منه كاتبا روائيا كبيرا للأدب الأردي المعاصر وأخرجته من مجاهل الخمول فجأة ورفعته إلي أسمى المراتب من الشهرة والشعبية التي لا نظير لها، والقصة الثالثة والأخيرة من بين هذه القصص الثلاثة الجديرة بالاهتمام هي قصة (آنجن) أي فناء الدار وصحنها للكاتبة الكبيرة خديجة مستور، إنها قصة أسرة تصور اعضاءها تصويرا رائعا خلابافتجعلها قصة كل أسرة من المجتمع الباكستاني، بأسلوب لبق أخاذ يوضح أدوار ممثلي القصة توضيحا بارعا.

وأما القصة القصيرة فهي تحتل مكانة بارزة في الأدب الأردي المعاصر وهذا القسم من الأدب القصصي قد ظل لمدة طويلة في أيدي اليساريين من الكتاب الذين استغلوه استغلالا كبيرا من أجل نشر الفكر الاشتراكي المرقسي قبل إنشاء باكستان وبعدها، وظل وسيلة مهمة لهم وأصدروا العديد من المجالات الأدبية وأخذوا ينشرون فيها فكرهم وأهدافهم السياسية يدّعون التقدمية ويتهمون خصومهم بالرجعية كما أن البعض من الأدباء الذين لم يكونوا

يساريين أو التقدميين بمعني الكلمة ،وإنما التحقوا بهم وانضموا إليهم لكي يحتلو مكانة بين كتاب القصة القصيرة وينشر في المجلات اليسارية ما يكتبون أو يؤلفون فمن أشهر كتاب القصة القصيرة سعادت حسن منتوواحمد نديم قاسمي وممتاز مفتي والميرزا أديب الذين كانوا قد اشتهروا وبلغوا قمة مجدهم قبل التقسيم وأما الذين دخلوا هذا المجال بعد إنشاء باكستان واكتسبوا الشهرة المدوية فمنهم أختان أصلهما من مدينة لكهنو في الهند وهما السيدة خديجة مستور والسيدة هاجرة مسرور واشفاق أحمد وزوجته بانوقدسية وغلام عباس وانتظار حسين وعزيز أحمد ومسعود مفتي واختان أخريان وهما جميلة هاشمي وسائرة هاشمي .

إن القصة القصيرة في الأدب الأردي المعاصر قد بلغت بوجود هذا الجمع الكبير من الأدباء رجالا ونساء قمة مجدها ووصلت إلى أقصي غايتها وحققت من النجاح الكامل والشعبية الواسعة حتى أنها تكاد تضاهي آداب اللغات المتقدمة الراقية في الشرق والغرب.

وتوجد القصة القصيرة في اللغة الأردية بجميع أقسامها وأنواعها وبجميع مدارسها ونزعاتها الفكرية والأدبية . وإذا سئلت أنا عن أبرزهم في هذا المجال فسأردعلى السائل دون تردد أو توقف بأنه هو الأديب الشاعر والكاتب الصحفي الكبير الأستاذ أحمد نديم قاسمي الذي عالج القصة القصيرة وبلغ بها إلى غايتها المنشودة وقمة مجدها وقد تناول الأستاذ القاسمي العديد من الموضوعات لقصته وصور فيها الحياة الريفية والمدنية على السواء إلا أنه قد برز في تصويره للحياة القروية والريفية فأتقن هذا التصوير اتقانا وأن أشخاص قصته يمثلون الحياة القروية الحقيقية بكل بساطة وإخلاص ويقدمون حياة الفلاح الباكستاني والإنسان العادي من المهن المختلفة خير تقديم وأجوده .

ومن أهم جوانب الأدب الأردي المعاصر جانب الشعر فقد انتج الأدب الأردي الباكستاني المعاصر أعدادا هائلة من الشعراء الذين أتوا بالعجائب والبدائع من الشعر بأنواعه ومدارسه ونزعاته فمن أقدمهم وأشهرهم وأرفعهم مكانة جوش مليح آبادي وحفيظ جالندري وإحسان دانش ومجيد أمجد وعابد على عابد وصوفي تبسم وعبد الحميد عدم وغيرهم كثيرون وهؤلاء هم الشعراء الذين اشتهروا قبيل إنشاء باكستان ولكن معظم أعمالهم الأدبية قد انتجت ونشرت بعد الاستقلال واكتسبوا شعبية كبيرة وأثروا في نفوس الشعب واكتسبوا لهم ولشعرهم مكانة مرموقة في الأوساط الأدبية في باكستان.

وأما حفيظ جالندري من بين هؤلاء الشعراء فإنه يمتاز بالعديد من المزايا البارزة ومنها أنه هو الذي نظم السلام الجمهوري لجمهورية باكستان الإسلامية وبذلك قد نال شعبية واسعة لم يشاركه فيها أحد من معاصريه واكتسب خلوداً وشهرة مدوية مما لم يقدر لغيره ومنها أنه قد نظم شاهنامة الإسلام على غرار شاهنامة الشاعر الفارسي فردوسي وهذه شاهنامة الإسلام التي نظمها حفيظ جالندري كانت قد نالت شعبية غير عادية قبل إنشاء باكستان وكان الناس يغنون بما يقتبسونه منها من القطعات الشعرية في مجالسهم الخاصة واجتماعاتهم السياسية وقد ساعدت هذه المنظومة في القيام بدور الحوافز الكبيرة خلال حركة إنشاء باكستان.

ومن أبرز الشعراء في الأدب الأردي المعاصر أيضا فيض أحمد فيض وأحمد نديم قاسمي الذي مر ذكره بين كتاب القصة القصيرة فأما الأول فهو إمام الشعراء اليساريين غير مدافع وقد نادى في شعره بالاشتراكية ونذر حياته من أجلها وقد نال بذلك جائزة لينن في الأدب الشيوعي وله مجامع شعرية كثيرة وهو القائل :

هم پرورش لوح وقلم کرتے رهیں گے دل په جو آتی هے رقم کرتے رهیں گے

ومعناه " إننا سوف نظل نروي اللوح أو القرطاس والقلم بما ننتجه من الشعر وأننا سوف نستمر في تسجيلنا وكتابتنا للشعر الذي يخطر ببالنا دون تردد أو خوف مهما كانت الظروف .

وأما الأخير وليس الآخرمنهم فهو شاعر يؤمن بكرامة الإنسان ويتخذ موقف الشاعر المحائد المعتدل في فكره وشعره وإن كان الناس قد ظنوه اشتراكيا إلا أنه ليس كذلك وإنما هو شاعر مؤمن بربه ويرجو شفاعة نبيه وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم بالعديد من القصائد ونشر له العديد من المجاميع الشعرية وهو القائل:

انهيں رکا نه سمجهه جو دريا رکے هوئے هيں

کليجه چير کے نکليں گے کوهساروں کا

أي لا يذهب بك الظن بأن الأنهار التي تبدو واقفة غير متلاطمة بامواجها فانك سوف تراهاتخترق أكباد الجبال وتجري متدفقة وتفيض بسيولها الهائلة !

والجدير بالذكر والاهتمام بأن الأستاذ قاسمي قدبلغ بالدوبيت من الأصناف الشعرية باللغة الأردية إلى ما لم يبلغ به أحد قبله وهو القائل :

مانا کـه مـرے زخم ذاتي هيں مگر ان کی ٹيسيں تو کائناتي هيں

آدمی شش جهات کا دولها هے وقت کـی گردشيں براتي هيـں

أي أنني أعترف بأن جراحاتي كلها شخصية إلا أن الألم الذي أشعر به وأنا أعاني من جراحاتي هذه إنما هو ألم يستوعب الكون كله، وكأن الإنسان عريس يبدأ موكب زواجه من ستة أطراف من خلفه وأمامه ومن فوقه وتحته ومن جنوبه وشماله ولا يشارك في موكب زواجه غير صروف الدهر وآلامه من هذه الأطراف والجهات الستة كلها !

ومن الشعراء المعاصرين سيف الدين سيف الذي يقول :

هم کو تو گرش حالات پہ رونا آیا رونے والے تجھے کس بات پہ رونا آیا

أي أننا نبكي وننتحب على صروف الدهر وآلامه فقل لنا أيها الباكي الحزين أنت تبكي وتنتحب على ماذا ؟

إن الشعر الأردي المعاصر يمتاز بين آداب اللغات الإسلامية كلها بالمدائح النبوية التي لا حصر لها ولا حساب ويوجد شعراء للغة الأردية ليس همهم غير المدح النبوي ولا يقولون الشعر أبدا في موضوع سوى موضوع المدائح للنبي صلى الله عليه وسلم ومن هذا القبيل الأستاذ حفيظ تائب ومظفر وارثى وغيرهما ولهذين الشاعرين يوجد العديد من المجاميع والدواوين الشعرية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم .

وقبل أن ننهي هذا الفصل من جوانب الأدب الأردي المعاصر يجب أن نلم إلماما بالشعر الأردي النسائي فمن شاعرات اللغة الأردية المعاصرات السيدة كشور ناهيد وبروين شاكر وفهميده رياض، وأما كشور ناهيد فهي في طليعة هؤلاء النساء الشاعرات التي قد منحن الشعر الأردي لونا نسويا جديدا ، وذلك لأن من سبقها من الشاعرات كن يعبرن عن العواطف الشعرية النسوية دون أن يشعر القارئ بأن القائل رجل أم امرأة وأما كشور ناهيد فإنها وصواحبها من الشاعرات قد بدأن يعبرن عن العواطف الشعرية النسوية على لسان امرأة . إن القارئ بمجرد القراءة الأولى يفهم بأنه يقرأ شعرا قالته امرأة وأنها قد عبرت عن عواطفها دون خجل أو تردد .

وأما مدى تأثر الأدب الأردي المعاصر بالآداب العربية المعاصرة فذلك مجال واسع ويحتاج إلى الاطلاع على ما وصل منها إلى أدباء الأردية وشعرائها ، فالأدب الأردي ، قديمه وحديثه ، لا يخلو من التأثر بالأدب العربي سواء كان

ذلك في الشعر أو في النثر، وقد ترجم الكثير الكثيرمن الأدب العربي الحديث من البحوث التاريخية إلى المقالات الأدبية ومن الأدب العربي القصصي مسرحيته وقصته الطويلة والقصيرة إلى المقالات النقدية والقصائد الشعرية.فمن البحوث التاريخية التي ترجمت من العربية إلى الأردية ، الفاروق عمر لمحمد حسين هيكل ، والفتنة الكبرى لطه حسين،والحسين لعمر أبو النصر ، وتاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ومن المقالات والبحوث الأدبية حديث الأربعاء لطه حسين وفي الأدب الجاهلي له، ومن الأدب القصصي مسرحيات توفيق الحكيم بين طويلها وقصيرها والأيام لطه حسين والقصص القصيرة لمحمود تيمور ومحمد عبد الحليم عبدالله ويوسف السباعي ، كما ترجم العديد من المجاميع الشعرية المختارة مثل أزهار الأشعار وشعر المقاومة الفلسطينية ، وغير ذلك كثير .

ومن الطبيعي أن يقرأ شعراء الأردية و أدباؤها ما ترجم لهم من العربية إلي لغتهم، وكذلك فمن الطبيعي والمعقول أيضا أن يتأثر هؤلاء الشعراء والأدباء بما ترجم لهم ، فقرأوه ، واستفادوا منه،وقد كان العلامة محمد إقبال وأعماله الأدبية قنطرة بين الأدب الأردي والأدب العربي في العصر الحاضر ، وهذه القنطرة قد كانت وسيلة للتأثر كما أنها كانت أداة للتأثير في نفوس الشعراء والأدباءالعرب .

ومن الموارد المشتركة المتشابهة بين الأدبين المعاصرين العربي والأردي هو تأثرهما بالتيارات الفكرية والمقاييس الأدبية والأسس النقدية والمدارس الشعرية التي نشأت في الأدبين الأروبيين الانجليزي والفرنسي،فقد تأثر شعراؤنا من شعراء العربية والأردوية بشعر الشعراء الانجليز كما أن نقادنا في الأدب العربي والأردي كليهما قد تاثروا بما جاء لهم من الأسس والمبادئ النقدية

باللغة الانجليزية، وان كان الأدب العربي أكثر تأثرا في النثر بما وصل إليهم من النثر الفرنسي المترجم ، كما أنه قد تأثر في الشعر بما وصل له من الشعرالانجليزي والنقاد الانجليز.

(محاضرة ألقيت بجامعة عين شمس القاهرة في إبريل سنة ١٩٩٤م)

* * * * *

العلامة محمد إقبال
وموقفه من الحضارة الغربية

للدكتور. خليل الرحمن عبد الرحمن

(لعب العلامة محمد إقبال دورا كبيرا في كشف حقيقة الحضارة الغربية وزيفها وكان دائما يعمل على إبراز عداوتها للدين والأخلاق .. وعدائها الخاص الموجه ضد الإسلام .

هذا الموضوع كان مجال بحث عميق وطويل أعده الدكتور خليل الرحمن عبد الرحمن وحصل على ضوئه على رسالة الدكتوراه ، وتعميما للفائدة ننشر ملخص رسالته ليقف القارئ الإسلامي على موقف العلامة محمد إقبال من الحضارة الغربية وبعض آرائه الأخرى)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى كل من تبعهم من المؤمنين إلى يوم الدين .

وبعد فهذه رسالة أقدمها إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة الإسلامية ، وموضوعها ، "محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية . ومن أكبر أسباب

اختياري لهذا الموضوع أنني أحببت أن أكون على معرفة واضحة مما حدث في العالم الإسلامي على يد الاستعمار الغربي من تحريف العقائد وإضعاف ثقة المسلمين بأنفسهم وصرفهم عن التمسك بدينهم وثقافتهم ، فان اكبر أزمة واجهها ولا زالت تواجهها الأمة المسلمة وأضخم معركة خاضها ولازال يخوضها العالم الإسلامي هي استيلاء الغرب الملحد على الشرق الإسلامي ، وانتصاره عليه سياسيا وعسكريا واقتصاديا وفكريا وحضاريا عبر القرون الثلاثة الأخيرة تقريبا

فان الأمة المسلمة قد أصيبت بوهن في العقائد وشلل في الفكر والعلوم التجريبية والعسكرية منذ قرون متعددة . فتمكن الغرب من الاستيلاء على معظم مناطق العالم الاسلامي ووقعت الشعوب المسلمة فريسة مكره ودهائه أولا ، وخضعت لآلاته الحربية واستراتيجيته العسكرية ثانيا ، ولافكاره وأنظمته الاقتصادية والسياسية والإجتماعية الزائفة البراقة ثالثا .

فان الغرب بسيطرته على القوى المادية والطبيعية وبتقدمه العلمي التجريبي قد وضع نظما جديدة لحياة الفرد والمجتمع ، واخترع مقاييس مغايرة للقيم الانسانية العليا في السياسة والاقتصاد والثقافة قد سادتها المادية وتعبد المظاهر والنفعية التجارية التي طغت على القيم الدينية الخلقية الروحية .

فعاد الغرب أكبر عدوللدين والأخلاق وبصفته قائدا للعالم وقاهرا له تحول هذا الفكر إلى فكر عالمي وتسرب الي العلم الاسلامي الذي قد أوهنه الجهل والتخلف والركود في القرون الأخيرة حتى كاد الشباب المسلم يفقد ثقته وإيمانه في الدين والقيم الغيبية الروحية فكان من الطبيعي والضروري أن يقوم في المسلمين داعية يعيد ثقتهم في عقيدتهم ويقوي تمسكهم بدينهم واعتمادهم على ربهم ويجدد نشاطهم وحركتهم في مضمار الحياة وكان من اللازم أن يكون ذلك الداعية على معرفة كافية بعلوم الكتاب والسنة وآثار الأئمة السلف

وأخبار ما طرأ على الأمة الاسلامية عبر تاريخها الطويل من الأحوال والأحداث كما أنه لا بد أن يكون قد درس علوم الغرب وفلسفاته دراسة عميقة ، وعرف نفسيته ودهائه بعقلية راسخة، ولا شك في أن إقبال هو أكبر عبقري ظهر في شبه القارة الهندية قد جمع الله تعالى هذه المواهب والاستعدادات في شخصيته الفريدة فإنه يعتبر بحق أنبغ عقل أنجبته الثقافة الحديثة التي ظلت تتفاعل في العالم الاسلامي في القرن الأخير وأعمق مفكر أوجده الشرق في العصر الحاضر، على ما يراه الأستاذ أبو الحسن على الندوي ،كما أن الأستاذ الندوي يرى كذلك أنه في الجو المكهرب بالفكر الغربي وفي العالم المتجاهل أو المتناسى لقيمته وقوته ورسالته ومكانته في قيادة الأمم، تزداد قيمة شاعر يولد في بلاد بعيدة عن مهد الإسلام ، يدرس العلوم العصرية والآداب الغربية في أعظم مراكزها ويتعمق فيها ثم يشتد إيمانه بالرسالة المحمدية ، وحبه وغرامه بشخصية محمد (صلى الله عليه وسلم) وثقته بهذه المهمة ومواهبها ومستقبلها، وتشتد حماسته للإسلام ويشتد إنكاره لأسس الفلسفة الغربية والحضارة الأوروبية ، ويستخدم عبقريته الشعرية ومواهبه الأدبية في نشر عقيدته ودعوته ويكون خير مثال للشاعر المؤمن والعالم الداعي ، والفيلسوف الحصيف ويحدث هزة في الأفكاروالأداب في قطر منأعظم الأقطار الإسلامية وأوسعها، ويتجاوز تأثيره إلى أقطار بعيدة ويسمع له صدى في العالم الإسلامي .

فدراسة إقبال تعني دراسة الصراع الطويل القائم بين الشرق والغرب وبين القيم الإسلامية البناءة والأفكار الإلحادية الهدامة وإنني على ثقة أن العالم العربي المسلم الذي يواجه اليوم مشكلة غزو الغرب الفكري والحضاري أكثر مما واجهه في الماضي، هو بحاجة إلى دراسة حقيقة الغرب ونفسته وأساليب مكره

ودهائه ، كما أنه لا بد من دراسة أحوال الشخصيات البارزة في مجال الدعوة والتجديد للإستفادة بأفكارها وأعمالها ولتربية الشباب المسلم المثقف على ضوئها .

وأرجو أن يكون هذا البحث إضافة ذات قيمة في المكتبة العربية الاسلامية، فإن ما كتب عن إقبال في العربية ناقص من نواح متعددة ، فانه إما متعلق بجانب من جوانب فكر إقبال أو مترجم عن لغات غير لغة إقبال ، أو مؤسس على دراسة جزء من شعره ومحاضراته، أو وجيز مختصر لا يسمن ولا يغني من جوع .

فإن الجمع بين أربع لغات من الأمور الصعبة ، فإن أقوال إقبال المنظومة والمنثورة ، من شعره ومقالاته وخطبه وأحاديثه ورسائله ومحاضراته تحتوي على اللغات الاوروبية والفارسية والانجليزية، ثم نقلها إلى العربية أمر ليس سهلا إنجازه، ولكنني أعترف أني استفدت كثيرا بما كتب بالعربية حول إقبال وبالأخص ما سجله الأستاذ أبو الحسن على الندوي ، والدكتورعبد الوهاب عزام حوله ترجمة وإنشاء .

ويتضمن هذا البحث بعد المقدمة تمهيدا وأربعة أبواب وخاتمة ، أما المقدمة فتشتمل على بيان أهمية الموضوع وسبب اختياري إياه وبيان الخطة التي التزمت بها في تسجيل البحث . وأما التمهيد فيتضمن الحديث عن المجتمع الذي عاش فيه محمد إقبال ، سياسيا وثقافيا ودينيا ويشتمل على ثلاثة العناوين التالية :

(أ) قصة دخول الإسلام الهند وموجز أحوال دعوته فيها ، حتى القرن الثاني عشر الهجري الموافق الثامن عشر الميلادي .

(ب) نظرة على الأوضاع السياسية بشبه القارة الهندية خلال القرنين الثامن

عشر والتاسع عشر.

(ج) ثقافة مسلمي شبه القارة الهندية خلال العصر الذي عاش فيه محمد إقبال.

وأما الباب الأول فعنوانه (حياة محمد إقبال وآثاره) وهو يحتوي على الفصول الستة الآتية :

الفصل الأول ،مولده وأسرته ، والفصل الثاني، دراسته في الهند، والفصل الثالث، دراسته في أوروبا، والفصل الرابع ، أحواله وأعماله بعد عودته من أوروبا ، وجهوده في توعية المسلمين بالهند، والفصل الخامس مرضه ووفاته وتواريخ أهم الأحداث في حياته. والفصل السادس، مؤلفاته وآثاره، وأما الباب الثاني وعنوانه فلسفة إقبال وآراؤه الاعتقادية ، فيتضمن الفصلين التاليين: الفصل الأول : فلسفة إقبال ، والفصل الثاني: آراؤه الاعتقادية .وأما الباب الثالث ، فعنوانه :موقف إقبال من الفكر والحضارة الغربية وهو يشتمل على أربعة الفصول التالية : الفصل الأول :الحضارة الغربية ونقد إقبال الأسس التي قامت عليها تلك الحضارة ، الفصل الثاني: نقده للفكر الغربي ومناهجه في السياسة والاقتصاد والاجتماع، والفصل الثالث: نقده للفكر الغربي في الدين والأخلاق. والفصل الرابع :نقده للفكر الغربي ومناهجه في التعليم والأدب والفن.وأما الباب الرابع ، وعنوانه: أثر فكر إقبال وموقف معاصريه منه ورأيه في بعض معاصريه ، فيتضمن الفصلين التاليين : الفصل الأول: أثر فكر إقبال على الأمة الإسلامية، والفصل الثاني : آراء بعض معاصريه المسلمين في فكره وشخصيته ورأيه في بعض معاصريه داخل العالم الإسلامي.

وأما الخاتمة فتتضمن أهم نتائج البحث .

وبعض أهم النتائج توصلت إليها ما يلي :

أولا: من أبرز الدعاة المسلمين في شبه القارة الهندية ، على مر القرون ، الشيخ

على بن عثمان الهجويري ، والشيخ معين الدين الأجميري، والشيخ نظام الدين محبوب الهي، والشيخ المجدد أحمد السرهندي، والملك أورنك زيب عالمكير ، وأسرة الشاه ولي الله الدهلوي والشهيد سيد أحمد البريلوي.

ثانيا : بدأ الانجليز في الهند بعد ثورة عام ١٨٥٧ م يوالون الهندوس والسيخ، ويضطهدون المسلمين أشد الاضطهاد، حتى أدى ذلك الوضع إلى استقلال الهند و انقسامها إلى دولتين، الهند وباكستان في عام ١٩٤٧م.

ثالثا : من أكبر الحركات التعليمية والثقافية وأبرزها، التي نشأت وترعرعت بين المسلمين بالهند في أعقاب ثورة ١٨٥٧م، حركة عليكره أو حركة السيد أحمد خان ، وحركة ديوبند ، وحركة ندوة العلماء .

رابعا : تاريخ ميلاد إقبال الأصح المختار عندنا هو الثالث من ذي القعدة عام ١٢٩٤هـ الموافق التاسع من نوفمبر عام ١٨٧٧م وهو تاريخ رسمي لدي حكومة باكستان .

خامسا : كان إقبال يرى في بداية عهده توحيد صفوف أهل الهند على أساس القومية الهندية، ولكنه بعد دراسته في أوروبا عاد داعية متحمسا للإسلام وقضى بقية حياته في توعية المسلمين في إيقاظ شعور الذاتية فيهم وجمع شملهم على أساس وحدة الكلمة والعقيدة.

سادسا : يحيط فكر إقبال بكافة المجالات البشرية الاجتماعية ويتضمنها شعره ومحاضراته ومقالاته ، ورسائله . وأساس فلسفته إثبات الذاتية فنجد أن معظم أفكاره روافد ونتائج لنظرية الذات . وقد استفاد في تكوين فلسفته الذاتية بتعاليم الكتاب والسنة وبفكر مولانا جلال الدين الرومي وبعض أفكاره نيتشة وفيشة وبرجسون .

سابعا : يستنكر إقبال فكرة وحدة الوجود ، ويؤيد بدلا منها وحدة الشهود

للمجدد السرهندي ، وأكبر دليل على وجود الله تعالي في نظره هو إخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى خاطبه وأوحى إليه كلامه .

ثامنا : يؤمن إقبال بأن دين محمد صلى الله عليه وسلم هو دين الحياة وإذا فقدت الأمة أسوة رسول الله ، تفقد كيانها وبقائها ومن مآثره الجليلة الخالدة جهوده في الرد على القاديانية الضالة .

تاسعا : يرى إقبال أن العبد بين الجبر والقدر في أعماله.

عاشرا : أخطأ إقبال في رأيه أن الجنة والنار حالتان لا مكانان، ووصفهما في القرآن تصوير حسي لأمر نفساني أو بصفة أو حال وذلك رأى يعارض ما جاء به الكتاب والسنة، وما أجمعت عليه الأمة سلفا وخلفا. ولكن ذلك الرأي لا يمثل موقفه الشامل والخير تجاه هذا الأمر.

حادي عشر : يرى إقبال أن الإجتهاد والتطور في نظام التشريع لا بد منه في بناء مجتمع صالح متطوروعلقنا على ذلك بأن العودة إلى الإجتهاد مستحسنة ومطلوبة ، ولكن بنفس الشروط وبنفس الروح التي اجتهد بها فقهاؤنا القدامي ، فلا بد من الأصرار على توفر شروط الفقهاء عند من يدعي الاجتهاد .

ثاني عشر : إن أجل عمل قام به إقبال أنه وجه ضربة قاصمة إلى الحضارة المادية الغربية ، كما يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي رح فان إقبالا يعتقد أن الحضارة الغربية على وشك الانهيار، وأن نظامها السياسي والاقتصادي سواء الرأسمالي أو الاشتراكي قائم على الاستغلال والمكر والافتراس والفوضى ،والمجتمع الغربي من ناحية الأخلاق والانسانية مجتمع جاهلي تماما فان المجتمع الذي لا يسترشد بالهدي المنزل من الله تعالى فغاية إنجازاته ونهاية علومه المادة والآلات بينما سيطرة الآلة تميت القلوب وتقتل الانسانية والمروءة . وأن معظم أهل الغرب لا يؤمنون بالله وبرسالاته في الحقيقة بل إلاههم الحقيقي هو المال والمادة .

ثالث عشر : يرى إقبال فرقا واضحا بين وظائف الرجل والمرأة فان كلا منهما مختلف عن الآخر من الناحية الخلقية البولوجية ، وأن الحضارة الغربية لم تستطع منح الحقوق والحرية والأمن والكرامة للمرأة بقدر ما منحتها الشريعة الإسلامية قبل أربعة عشر قرنا.

رابع عشر : يرى إقبال كذلك أن مناهج الغرب التعليمية والتربوية تدور حول المادية والإباحية والإلحاد وأنها مؤامرة ضد الدين والأخلاق ، كما انها آلة غربية لاستعباد الشرق ووسيلة من وسائل الاستعمار الكبرى .ويستنكر إقبال فكرة الفن للفن والأدب للأدب بل الفن أو الأدب في نظره خادم للحياة والذاتية الانسانية فكل أدب أو فن استغل لجمع المادة أو إثارة الشهوات أو كان أداة للهو والتسلية فهو ضائع.

خامس عشر : لقد أعلن إقبال في عام ١٩٣٠م لأول مرة ، اقتراح دولة مستقلة للمسلمين في الهند، ثم أصبح ذلك القرار قرارا رسميا لحزب الرابطة الإسلامية في ١٩٤٠م . وكان ذلك القرار أساسا لقيام دولة باكستان المستقلة.

سادس عشر : تراجع إقبال في آخر عهده عن إجلاله لمصطفى كمال وثورته في تركيا، ولكنه لم يتنبه لغموض وخفاء يوجد في شخصية السيد جمال الدين الأفغاني ومدرسته.

سابع عشر : كان لإقبال أثر عظيم في المسلمين في الهند كما كان له أثر ملموس على الشباب المثقف في خارج شبه القارة الهندية وما تزال أشعاره وأفكاره توحي للمسلمين بمزيد من التمسك بالإسلام وإحيا الشخصية الإسلامية الحية المتحركة التي تحقق الاسلام وتحقق لنفسها الكرامة والعزة .

* * * * *

فكرة الحرية
عند العلامة إقبال

للأستاذ الدكتور وحيد قريشي

قد وردت كلمة (آزادى) الفارسية وكلمة (حرية) العربية في شعر العلامة إقبال كلمتين مترادفتين أو متبادلتين ، فأما كلمة (آزادي) فقد وردت فيما نظمه من الشعر في الطور الأول من شعره وأراد بها الشاعرمعنى البعث من القبور والتحرر من العبودية ، إن المعنيين لهذه الكلمة التي وردت في المنظومات الشعرية الأولى لإقبال يجدران بالعنايةوالإهتمام فأولهما التعبير عن اللامبالاة وعدم الحزن والسلوك على طريق الحق والصدق، والثاني للتعبير عن التحرر من العبودية السياسية على المستوى القومي، وأن هذا التعبير الأخير أوالثاني قد ظل أكثر اهتماما به عند إقبال في شعره من الطور الأول.

إن عهد العلامة إقبال في شبه القارة إنما هو عهد قد ثار فيه حزب الكونجرس الهندي ضد الحكم البريطاني على بلاد الهند كما تأثرت طبقة المثقفين الهنود بفكرة الوطنية الغربية وبماوصل إليهم من فكرة الحرية عند المفكرين السياسيين البريطانيين، وبذلك أخذت رغبة التحرر من الحكم الأجنبي وقصص الشعب المستعبد المظلوم تجد طريقها إلى نفوسهم وتحكي وتنتشر على ألسنتهم،

وقد تأثر العلامة إقبال بفكرة الوطنية في بادئ ذي بدء إلا أنه لم يلبث أن يدرك (كما يصرح بذلك هو نفسه في مذكراته عن التأملات الماضية) حقيقة الفكرة الوطنية الغربية قبيل الحرب العالمية الأولى ويرى بأنها تضر كيان المسلمين ووجودهم السياسي، ورغم أنه كان قد عرف واشتهر كشاعر إسلامي، وذلك بحكم حضوره وإنشاده في اجتماعات جمعية حماية الإسلام بلاهور ، إلا أن قريحته الشاعرة كانت تميل إلى أناشيد وطنية فتقول :"إننا نحن هنديون وأن الهند هي وطننا " وأن التوافق والتلاءم بين التيارين في شعره يرجع إلى عصر متأخر ، ففي سنة ١٩١١م نراه يميل إلى فكرة الأمة الإسلامية التي حلت محل الفكرة الوطنية، وبذلك نلاحظ أن الفكرة السياسية عنده قد تغيرت تغيراً شاملاً ورفض فكرة الديمقراطية الغربية كما رفض فكرة الحرية الجامحة فبينما تنادي الديمقراطية بتعداد الرؤس ينادي العلامة بوزنها وفي هذا الطور من فكره وشعره قدأعلن بأن الديمقراطية يجب أن تخضع للقيم الخلقية كما أعلن بأن الجنكيزية أي الحكم المطلق مرفوض لا وجود له في الإسلام ، فأما الجنكيزية أي الحكم المطلق المستبد، فقد رفضه إقبال لأنه يقوم على استخدام السلطة القاهرة دون حذر أو خشية من الله كما أنه استهان بالبرويزية أي الحكم المطلق القائم على حيل المكر والكيد والنفاق والخداع، وأن هذا التغير الأساسي الشامل الذي حدث في فكر إقبال وشعره قد اتضحت بعض ملامحه في القصائد المنظومة الأخيرة التي يضمها ديوانه الأول الموسوم بصوت الجرس(أو بانك درا) ثم أوضح الشاعر عواطف العبيد والمستعبدين النفيسة في ديوان الأسرار والرموز فمن ذلك أن العبد أو الإنسان المستعبد قد يبحث عما يبرّر به عبوديته أو استعباده ، وهو لم يعد عنده الفكر الحر أو التفكير في الحرية ، وإنما يقتنع بالتقليد والاتباع ويعول على حيل التأويل لكي يخدع به نفسه وغيره من الناس، على أساس النفاق والرياء فيقترف جريمة الغدروالخيانة التي يمثلهاالخونة والغادرون من أمثال

جعفر وصادق في بنغال ودكن اللذين يقول عنهما إقبال (رسالة الخلودص١٤٢) :

"إن الخونة من أمثال جعفر في بنغال وصادق في دكن إنما هم عار كل العار على جبين البشرية والدين والوطن!"

وأما عن القالب الذي صاغ هذا التغير الأساسي في فكرة إقبال وشعره فمما لا يعرف شئ في ذلك بالضبط وعلى وجه التفصيل ، وقد أدرك إقبال في عهد مبكر جدا بأن الحرية شئ والتحرر عن قيم الأخلاق شئ آخر ، وكان ذلك هو الأساس لهذا التغير الشامل الجديد الذي حدث في شعره وفكره ، وهو الذي مهد الطريق لما بعده من الأطوار فقد كان إقبال يفرق بين الحرية وبين الهيام المتحرز العشوائي، وله منظومة قد عَنْونها بالشمع والشاعر ، وتحدث فيها عن المعني السياسي للحرية، وصرح بأنه لا بد من فرض القيود عليها حيث قال ما معناه (بانك دراص ١٨٧) :

"إن صلوات المسلم التي أرست قواعد التوحيد ومنحته من العز والتغلب قد تلاشت في الهند بسب ما أثر فيها البراهمة أو رجال الدين الهنادكة ففقدت الصلوات تأثيرها في النفوس !

إن حياة الخلود على صفحات الوجود إنما يتحقق حين يتبع الإنسان دستوره ويلتزم بقيوده وبنوده لأن الحرية المطلقة التي تتمتع بها أمواج الأنهر هي التي تسبّب ضجة المآتم والبكاء !"

ومن ذلك ما قاله إقبال في منظومة له قد عَنْونها بالزهرة فقال (نفس المرجع ص ٢٥٠) ما معناه :

"إذا كنت تتمني أن تعيش بعزّ وكرامة في حديقة الدنيا هذه فعليك أن تتعلم الحياة بين أخطار الأشواك والصعوبات .

أفما رأيت شجرة صنوبر في الحديقة ؟ أفما تراها تنمو وترتفع إل

السماء بحرية،وهي لا تزال أصولها في الثرى ؟ فيجب أن تتعلم نفس الحرية هذه التي تقبل القيود في الوقت نفسه !"

وهذه الحرية إذا طبقت على الديمقراطية فإن النتيجة ستكون كما يقول إقبال ما معناه (نفس المرجع ص ٢٥٠) :

"هذا الذي تراه ما شيا نحوك إنما هو عفريت الاستبداد والدكتاتورية لابسا ثوب الديمقراطية وليست جنية حسناء كما تظنها !"

وفي قصيدته التي عنونها بخضر الطريق أوهاديه ، قد استعمل فيها العلامة مصطلح الحرية العربية بدل كلمة آزادي الفارسية ، وقدوردت مادة حرّ في القرآن الكريم بمعنى تحرير الرقبة أو العبد وأما في شعر إقبال فإن كلمة الحرية قد وردت كمصطلح ، فيقول العلامة (نفس المرجع) :

" انظر أيها المسلم كيف ترى حلم الحرية الذي رآه الإسلام وقد تحقق أمامك اليوم !؟"

وإن إقبال حين عثر على كلمة الحرية العربية كمصطلح يعبر عن فكره ويعوض عن كلمة آزادي الفارسية التي تحمل نفس المعنى فإنه أخذ يزدري بالحرية المطلقة أي الديمقراطية الغربية حيث يقول (نفس المرجع ص٢٩٠) : "

بالها من الأحابيل والأشراك التي أعدتها كلمة (آزادى أي الحرية) وما إليها من التعبيرات الفارغة مثل الانتخاب والعضوية والمجلس والرياسة !!"

وأن هذه الحرية ذات الأحابيل والأشراك والتي ذكرها إقبال هاهنا تقودنا إلى القول بأنه قد وصل العلامة إلى إدراك هذا المعني من الحرية بعد أن اطلع على فكرة الديمقراطية والوطنية عند الغرب .

وقد استخدم إقبال مصطلح الحرية غير مرة في رموز اللاذاتية أي ديوان الرموز فنراه يستعمل مصطلح الحرية الإسلامية في موضع من هذا الديوان

الشعري له ويفسر معناها تفسيرا مستقلا في المتن فيقول ، موضحا صلة المؤمن بالعشق ومقارنا بين العشق والعقل ما معناه (ديوان رموز اللاذاتية ص ١٠٩-١١٠):

"إن الحرية هي راحة الروح عند العشق ، وأنها هي (أي الحرية) مركب أو ناقة بالنسبة إلى العشق و أن صلة الخلافة حين انقطعت من القرآن الكريم ماتت الحرية مسمومة ومحرمة على الأمة "

فقد ذكرهنا صلة الخلافة بالقرآن الكريم وصرح بأن الحرية والعشق يتساويان في القيمة ويلزم أحدهما الآخر ، ويرى العلامة أن هدف الرسالة الإسلامية إنما هو بناء الحرية والأخوة والمساواة حين يتحدث عن تعاليم النبي صلى الله عليه وسلم ويوضح هذا الجانب منها (نفس المرجع ص١٠٣-١٠٤) قائلا ما معناه :

إن الحرية قد نشأت من ضميره صلى الله عليه وسلم النقي الطاهر وأن هذا الشرب الحلو السائغ إنما هو عصير من كرمه اللذيذ !"

ويرى العلامة أن الحرية في الإسلام لها ثلاث خصائص وأن الرجل الحر أو الإنسان الكامل من صفاته أن يؤمن بالحرية إيمانا صادقا قويا ، ويبدو أن حرية الفكر والفعل من الأفكارالأساسية في الإسلام عند العلامة ، فهو لا يقول بالحرية المطلقة العشواء،وإنمايعتقد بأن لها حدود وقواعد من الأخلاق ومبادئ من القانون والعقل والشعور منذ ديوانه الأول صوت الجرس إلى ضرب الكليم ، ويرى أن الحرية التي لا تلتزم بالمبادئ ، وليس من ورائها هدفا منشودا إنما هو تمهيد للدمار والانهيار حيث يقول في ديوانه ضرب الكليم مامعناه (ص ٧٥-٧٦) :

" إن الذين لا يعرفون سليقة التفكير والتدبر فإن حرية الفكر عندهم لا

يقود إلا إلى الهلاك والدمار،وذلك لأن الفكر الحر إذا لم يكن ناضجا راسخا ، فإنه ليس إلا طريقا يقود الإنسان إلى درجة الحيوان والبهائم !"

وأن الحرية لها صلة بالعشق (أي العلاقة بالهدف) كما أن لها صلة بالأخوة الإسلامية التي تقوم عليها فكرة الأمة الإسلامية ، والتي ترفض الوطنية التي تؤمن بالقيود الجغرافية والحدود الأرضية ، ويرى العلامة أن الحرية لها جانبان أحدهما نظري والثاني عملي ، ومن ثم يذكر حرية الفكر والفعل في وقت واحد وفي أكثر من موضع ، كما يرى أن الحرية الفكرية والحرية الفعلية كلتاهما تخضع للشريعة والدستور، وحين يصرّح بأن الحرية تخضع للشرع والقانون يرى أنه بدله أن يتقدم خطوة إلى الأمام فيقول بأن الحرية تخضع للقيود الخلقية دائما ، وحين يضم الحرية إلى فكره الفلسفي ويوفق بينهما توفيقا ففي نفس الوقت يرى بأنها أي الحرية من صفات الرجل المؤمن والإنسان الكامل أو الرجل القلندر على حد تعبيره هو نفسه .

وقد ذكر في ديوانه أسرار الذات بأن ذات الإنسان لها ثلاث مراحل من التربية والتدريب، وهي الإطاعة ثم ضبط النفس ثم النيابة الإلهية ، وهذه المراحل الثلاثة كلها تقوم على العشق أي العلاقة بالهدف ، وقال بأن الذات الإنسانية تستمد قوتها من العشق والحب (ديوان الأسرار ص ١٨) :

" إن شعلة النور التي قد سميتها بالذات إنما هي شرارة الحياة تحت ترابنا أو في جسدنا الترابي ، وأن هذه الشعلة أو الشرارة إذا استمدت قوتها من الحب فإنها تصبح أكثر خلودا وحيوية ولوعة وضياء !"

وكلمة العشق عند العلامة تعني حب الأهداف والعزائم كما أنها تعني حب النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن حب النبي يعني اتباع الأسوة الحسنة ثم حب الله عزوجل ، فكأن العشق عنده مراحل من الحب وأولها حب العمل

والهدف ، وآخرها حب الذات الإلهية ، وأن الوصول إلى درجة النيابة الإلهية أو الخلافة الإلهية يقصر على ثلاث صفات قد ذكرها العلامة بثلاثة أسماء ، وهي الرجل المؤمن ، والرجل القلندر ، والرجل الحر فأما الرجل المؤمن فهو الذي يجمع بين صفات الجلال والجمال وأما الرجل القلندر عنده فهو الذي يمثل إنسانا لايحفل بشئ ولا يحزن لشئ ، وأما الرجل الحر فهو يدل على الصدق والحق واكتساب الرزق الحلال والاجتهاد ، وأما الإنسان الذي يجمع بين هذه الصفات الثلاثة كلها فإنما هو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرى العلامة بأنه صلى الله عليه وسلم إنما هو المثل الأعلى للإنسان الكامل الذي يجمع الصفات الكماليةالبشرية كلها وأن هذا الإنسان المثالي إنما هو المستوى الكامل للحرية التي يجب أن يحققها كل إنسان ، وهو غاية الغايات وهدف الأهداف للمجتمع البشري ، وأن خلق الإنسان في أحسن تقويم إنما يعني أنه قد تحمّل مسئوليّة النيابة أو الخلافة الإلهية تلك المسئولية التي رفضتها الجبال وأشفقن منها وحملها الإنسان ، وكان ظلوما جهولا!

ومن مبادئ فكرة الحرية الأساسية عند العلامة هو التمييز بين الشروالخير ، وبين ما ينفع ويضر، وذلك هو حرية الاختيار (أو FREEDOM OF CHOICE) والتي قد ذكرها العلامة في خطبه التي قد أعدها عن تجديد الفكر الديني في الإسلام ،ويرى أنه حين أبى إبليس واستكبر وعصى أمر الله فقد صار ذلك هو أول مثال للأنانية ، وأن عصيان آدم لأوامر الله وطرده من الجنة إنما يحمل في طياته بأن الإنسان له الحرية في اختيار الشر أو الخير، وفي اختيار السيئة أو الحسنة ، وهذا هو الموقف الفكري عند العلامة في شعره الذي يجعله يقدر إبليس ويصف مدى إنكاره واستكباره، وكذلك فإن عصيان آدم أيضا يدل دلالة واضحة على أن حرية الاختيار بين الشرأو الخير والسيئة أو الحسنة قد

تحققت للإنسان فهو حر فيما يريد ويختار ، فإما شاكرا أو كفورا.

إن العبودية سواء كانت سياسية أو اجتماعية لها آثار وعواقب ، وأن هذه العبودية تقود إلى البوار والدمار، سواء كانت عبودية الفرد أو عبودية المجتمع ، ومن ثم ينادي العلامة بالتعادل والتوازن في المجتمع البشري وذلك يقصر على اتباع الشريعة والعمل بدستور، ومن ثم لا بد للحرية الفردية أن تكون تابعة للمبادئ الأساسية والقواعد الدستورية ، ونفس الشئ مطلوب للمجتمع البشري الذي يلاقي الانحلال والتشتت إذا أعرض عن القواعد الشرعية والمبادئ الدستورية ، فالحرية هنا ليست هي الحرية المطلقة العشوائية ، وإنما المطلوب هنا هو التعادل والتوازن بين الحرية والقيود .

وكذلك فان للعلامة موقفا فكريا أساسيا حيال قضية القضاء والقدر، فهو لا يقول بالجبر المطلق كما أنه لا يؤمن بالاختيار المطلق ، فالإنسان ليس بمجبر مطلقا كما أنه ليس بمختار على الإطلاق فلاجبر ولا قدر بل الأمر بينهما (ويؤيده ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الإيمان بين الجبر والاختيار - المترجم) وله منظومة عنوانها أنشودة النجوم حيث تحدث فيها إقبال عن حرية الإنسان وعن آخر حدودها على لسان النجوم حين يقول (بيام مشرق أي رسالة الشرق ص: ١٠٠) :

" أما أنت ، أيها الإنسان ، فقد استولى عليك سحر ا لكم والكيف ، وأن عقلك منشغل بقضايا الفتح والإغلاق ،

إنك مقبوض عليك كغزالة قد وقعت في الشراك ، وبذلك قد أصبحت تعاني مثلها بائسا مهانا كئيبا!

وأما نحن - نجوم السماء - فأحرار وفي عش رفيع نرى ونجري !"

فاذا كانت العبودية السياسية هي الموت فإن العبودية الفكرية هي

أخطر وأكبر منها بكثير، إن الحرية تعني الفعل والتحرك ، وتلك هي علامات الحياة ، أما العبودية فهي ترادف البطالة والركود ويقال لها الموت ويرى العلامة أن العمل في حياة الإنسان يقوم بدور حاسم جدا حيث يقول في ديوانه صوت الجرس ما معناه (٢٧٤) :

" إن العمل هو الذي يجعل من الحياة جنة أو جهنم أما الإنسان فهو ترابي ، وليس نورا ولانارا في جبلته الأصلية !"

إن العمل والكفاح هو السبب الحافزوراء الحياة البشرية المتطورة الكادحة الناجحة ويعبر عنهاالنشاط العملي المتدفق والفكر النادر البديع ، يقول إقبال (جناح جبريل ص١٥١) :

"إن الفكر البديع والعمل الجاد من معجزات الحياة ، وهما اللذان يصنعان لؤلؤة لامعة من الحجر القاسي الأصم !"

إن العبودية السياسية تقود الشعوب إلى أبواب البطالة والحرمان ومن ثم تحرم الشعوب من التحمس والنشاط العملي كما أنهاتحرم الأفراد من الشعور والميل إلى العمل، وفي مثل هذه الظروف لا يثور العلامة على الجبابرة المستبدين وإنما يثور على المستعبدين المحكوم عليهم ، لأنهم لا يحاولون لكي يتحرروا من هذه العبودية فيقول لهم :

" إن القلب والجسد كلاهما رهينان عند الأجانب ومن الأسف الشديد أنه لم يعد المكين والمكان باقيان ، إنك أيها المسلم قد رضيت بعبودية الغرب الأوروبي إنني لا أشكو الغرب، وإنما أشكوك أنت الذي رضي بها "

إن العبيد أو المستعبدين يحرمون من الحفيظة والحمية ، ويحيط بهم اليأس والشرك من العقائد الهدامة ، ويجثون أمام حيل الأعداء ، ويبتعدون من الفكر المبدع والعمل المثمر، ويعرضون عن الحياة العملية المتغيرة ، فيقول إقبال

ما معناه :

" يا أسفى على من قتل بحيلة العدو وتدبيره ، ذلك الذي يخرب نفسه ويبني العدو أي ينفع العدو ويضر نفسه بمواقفه وأعماله ! يستطيع أن إنه يصبر ذو نظر وبصر في العلم والفن ، إلا أنه لا يدرك حقيقة نفسه !"

إن الشعوب المغلوب على أمرها ترى أن كل ما يعمله سادتها وحكامها فهو مهم جدا ،وأما الذي عندهامن العمل والفكر فتافه ضئيل جدا ، إنهم يرون إن العلم والفن عندغيرهم أفضل وأهم مما لديهم من التراث العلمي التليد ، أما كبارهم فمسحرومون من الحياء ، وأما شبانهم فمشغولون بما يستلذون ويتفرجون عليه ، وأما نساؤهم فيفقدن الحياء والحشمة ، إنهم يفضلون الفوائد المادية والحصول على الثروة وجمع المال ، وكل همهم هو التلذذ بالمأكول والمشروب والتمتع بزخارف الدنيا وبذخها وعن ذلك يقول العلامة (نفس المرجع ص ١٦)

ما معناه :

" أما الدين عندهم فهو إيفاء العهد بالأعداء فكأنهم يريدون أن يبنوا الكنيسة على حساب الحرم ! "

ويقول عبد الرحمن طارق (وهو من أقدم الرجال الإقباليين) أن عناوين العبودية وأنواعها التي هي عبرة للبشر ثلاثة وهي :

١) العبودية فيما يعمل به الحاكم الأجنبي من ثقافته ومدنيته وتقاليده .

٢) عبودية النفس الأمارة .

٣) عبودية الأغراض الدنيئة والمصالح الفردية وإهمال المصالح الإجتماعية والقومية، إن هذه العناوين أو الجوانب الثلاثة من العبودية إنما هي فهرسة للعقلية العبودية كما أنها تدل على أن العبودية هي ليست إلا عقلية ونهجا في الحياة ، وهي التي تأتي على الأمم والشعوب إذا وقعت في براثنها فتهلك

وتنقرض ، وهي التي تمتص ينابيع الفكر القومي وتقضي على النشاط الفكري عند الأمم وتفرق بينها وتمزق شملها وتبدد وحدتها وبذلك يفقد الفرد دوره البناء وتتقلص أطرافه في الحياة العملية المثمرة حتى يحرم من الحركة والعمل ومن ثم يأخذ الفرد يبحث عن المبررات لحرمانه ولا يبقى لديه من حيوية تؤهله للقيام بايقاظ الأمة ، وإنما يركز عمله على النفاق حتى أنه يصبح علامة لشخصيته يعرف بها ولايستطيع أن يميز بين الأهداف الشريفة والدنيئة ، ويحرم من حرية الرأي والعمل سواء فيه الفرد والمجتمع ، وحتى أن هذه العبودية تجعل من الإنسان مدفنا للحيل الماكرة وينبوعا للتأويلات الباردة ، وعن ذلك يقول إقبال ما معناه :

" إن السادة الأجانب يرغّبون العبيد في العبودية حتى أنهم يتخذون طريق الحيل فيأولون المشاكل التي تواجههم !"

إن هذه التأويلات الفكرية البعيدة الباردة إنما هي تعبرعن تفوق الأعداء السادة وتنزل العبيد المغلوبين على أمرهم ، ودنائتهم الخلقية ، وتنتج هذه الدناءة الخلقية غدرا وخيانة في مصالح الوطن والشعب وأنه لا شئ أكبر وأسوأ من الخيانة والغدر بالشعب والوطن وعن ذلك يقول العلامة ما معناه (رسالة الخلود ص ١٤٥) :

" أنى يمكن أن تتحول ظلمة العبودية في الهند إلى نور النهار وروح ذلك الخائن (جعفر الغادر النغالي الذي غدر بسيده سراج الدولة ملك بنغالة) لا تزال حية رغم أنه قد مات .

لأن هذه الروح الخائنة تبدو في ظاهرها وكأنها تعطف لدين التوحيد مع أنها في باطنها قد انضمت إلى عبدة الأصنام ولبست صليب الهنادكة .

وأن روح (جعفر) هذه حيثما كانت في جسم الفرد يقتل أمته وإذا كان

هذا الفرد هو المسلم فإنه سيذبح الملة الإسلامية كلها!

وأن الذين يُغيرون على شعوبهم اينما كانوا فإنهم جميعهم من هذا القبيل نفسه الذي منه كان جعفر هذا وزميله صادق !

الأمان! الأمان! من روح جعفر هذه

الأمان ! الأمان من جعافر هذا الزمان !"

إن النفاق ليقسم الإنسان إلى نصفيه ظاهره وباطنه ، ويطفئ ذلك المصباح المضئ من الحب والإخلاص في قلبه الذي تتدفق منه ينابع الإيمان بالله والثقة بالنفس ، ومن ثم يفقد الإنسان ذاته وجُرأنيته ، ويقول إقبال معلقا على السياسة المعاصرة في منظومته المثنوية التي عَنْونها . بماذا نعمل نحن أيها الشعوب الشرقية (ص ٣٥) :

"إن هذه السياسة المعاصرة تدعم أغلال العبيد كما أن الحرية تسميها بالسياسة العمياء التي لا تملك نظرا ولا بصرا !

إذا أردت التحرر فلا تُلق بنفسك في كيدها وخداعها

وعليك أن تموت عطشاً ولكن لا ترد على حوضها

وعليك بالحذر من حديثها الساخن الجباش

«عليك بالحذر من كلامهاالذي هو كثير الجوانب والمعاني !"

ثم أن العلامة إقبال يدين الفكر الحر وينصح بالإجتناب منه ويذكرالحرمان من الذات والوعي فيقول (نفس المرجع ص ٣٨) .

"ولا تسئلن عن القيام في الصلاة دون وعي ، ولاتسئلن عن السجود الذي لا أجد فيه لذة ولا سرورا!

إن المثول بين يدي الحق سبحانه وتعالى ولو لحظة واحدة لمن حظ الرجال المؤمنين الأحرار وحدهم !

إن الحر حين يسجد في حضرة الحق جل شأنه فإن اسماء الزرقاء تطوف حوله

أما نحن العبيد فإننا لا نعرف شيئا من جلال الحر ورهبته كما أننا نجهل جماله الخالد فلا نطلع عليه

ولا تبحث عن حلاوة الإيمان ولذته عن العبد

حتى ولوكان يحفظ القرآن الكريم كله !

فأما أعياد الأحرار ومناسباتهم فإنها هيبة الدين والوطن وأما أعياد العبيد فهي ليست إلا ازدحام المسلمين !"

وقد تحدث إقبال عن النفاق الفردي والاجتماعي فكشف عنه القناع وفصل عَنْه القول في شعره كما أنه تحدث عن صفات الرجال المؤمنين الأحرار وعن الفرق بين الحر والعبد وعن خسارة العبودية وعيوبها ومايقوم العبيد بالمحاولة من التأويل والحيل عن موقفهم في القول والعمل ، إن إقبال لا يؤمن بالحرية كمجرد فكرة وإنما يجعل منها أساسا لفكره الفلسفي .

وقد استطاع إقبال أن يرتب نزعاته الفكرية ترتيبا منظما في ديوان الأسرار والرموز، فأما الأسرار فهي وثيقة النمو الفردي والروحي كما أن الرموز هي محاولة بالغة النجاح للربط بين الفرد والاجتماع في مجال الفكر والعمل ، وأن حرية الفكر والعمل هي قسم مبدئي لهذه المحاولة كلها ، ومن هنا ينشأ نسيج الصفات البارزة التي يمتاز بها الرجل الحر . إن الأفكار البدائية المجردة التي يضمها ديوانه صوت الجرس تصبح نهجا فكريا في هذه المرحلة من شعره وأما الذي قاله إقبال فيما بعد والذي يضمه دواوينه الشعرية الأخرى فهو يدل دلالة واضحة على أنه قد نهج المنهج نفسه من المنظورالفكري فقد تناول الشاعر تلك الأفكار نفسها في رسالة الشرق وجناح جبريل وضرب الكليم ، وما الذي

الآن أيها الشعوب الشرقية وهدية الحجاز من دولوينه على المستويين الفردي والجماعي ، مما أيقظ روح الحرية والمعنوية في نفس الأمة الإسلامية ، وكان مماساعد في إنشاء باكستان وانتصار الكفاح من أجل الاستقلال هو شعر إقبال الذي نور القلوب ومهد السبيل للأمة بالإضافة إلى العوامل الأخرى التي ساعدتنا في ذلك الكفاح المرير النادر الذي لا نظير له ، وأن إقبال إذا كان عاملا حيويا الذي لعب بدوره في حركة الاستقلال فإنه لا بد أن يساعدنا شعره وفكره في بناء هذا الوطن الإسلامي العظيم إلا أن إقبال لا ينفك يشكو من عدم اهتمام المسلـ دينه الإسلامي حيث نراه يقول (في هدية الحجاز ص ٣٠) :

" إنني لأشكو من ضيق الوسائل وقلتها عند الفرد المسلم كما أنني أشكو من كثرة التجليات والمظاهر.

إ ن هذا الفرد المسلم يرضى بمشاهدة الأعداء ومن ثم أشكو من نظرته غير الإسلامية !"

(تعريب : الدكتور ظهور أحمد أظهر)

* * * * *